المشرق

السنة الثانية والخمسون — ايار – حزيران ١٩٥٨

# اكتشافات برية يهوذا

بقلم الاب بولس موترد اليسوعي

لم يحن بعد الأوان لكتابة الصفحات الجازمة بخصوص الآثار المكتشفة في برّية يهوذا في ضواحي البحر المائت ولا يمكن التأكيد بان المستقبل لا يستبقي لنا مفاجأة بخبأ آخر جديد. ثم وان فرضنا ان هذا لن يكون فان عدة آثار لم تنشر بعد وفحص الآخر هو بعيد من ان ينتهي.

مع ذلك اننا نرى مناسباً بعد ان مرّت عشر سنوات ان نعطي تلخيصاً بياناً عن الحاصل المكتسب وعن الآمال المحتملة وتساعدنا على ذلك نشرات حديثة جداً عديدة منها بنوع اخصّ كتاب صغير ظهر في ربيع سنة ١٩٥٧ في مطبوعات «السرف» تأليف الاب ميليك وهو واحد من اهم العاملين في «جمعية اورشليم». عنوان الكتاب «عشر سني اكتشافات في برّية يهوذا».

مجموع الآثار في الحاضر

في سنة ١٩٤٨ أخذت اكبر جرائد العالم كله تنشر اخبار اكتشاف مخطوطات قديمة جداً وُجدت قرب البحر المائت وتتكلم عن عظم اهميتها .

بدويون من قبيلة التعامرة الرحّالة — المحتضرة وهم رعاة يتجولون في جنوبي اريحا أتوا بهذه المخطوطات اولًا الى بيت لحم ثم الى القدس . اول الشارين — لاربع كتب بخمس قطع — هو المطران السرياني الاورثوذكسي مار اثناسيوس يشوع صموئيل الساكن في دير القديس مرقس الشهير في المدينة القديمة (في ربيع ١٩٤٧) ثلاثة كتب اخر بست قطع اشتراها في تشرين الثاني الاثري الكبير الاسرائيلي ل. و. سوكنيك .

السيد المطران صموئيل راغباً ببيع مُقتناه بثمن كبير عرض بتحفظ أدراجه لعدة اشخاص مختلفي المعرفة جداً .

وكاد هذا التلاعب يدوم زماناً طويلًا دون فائدة لو لم يعزم المطران اخيراً على السماح لعلماء اختصاصيين برؤية الأدراج باكثر من عرض سريع فقد رضي في الآخر باظهارها واعارتها لتُفحص لمدرسة التفتيش الاميركانية (American School of Oriental Researches) المقيمة في المدينة الجديدة من جهة المتحف . مُرسَل المطران لم يجد المدير السيد ميلور بروز لانه كان اذ ذاك يتجول خارجاً عن فلسطين لكنه وجد اثنين من معاونيه كلاهما من الشبان صار اسمها مذ ذاك شهيراً وهما وليام هـ. برونلي وجوهن س. تريفور . وهذان ما لبثا ان عرفا تاريخ الآثار التي استلماها وعظم قدمها وتحققا وجود كتاب لأشعيا وتوصلا الى اخذ صورة فوتوغرافية لكل الادراج الا لواحد عالجا عبثاً حله وتمكنا ايضاً من أخبار « البرايت » العظيم من جهة المحيط الاخرى فانتعش حالًا بحمية .

جرائد العالم باسره وقد نبهتها بذلك اسرائيل ايضاً رددت بجلبة صداه منذ نيسان . لكن الحالة لم تكن سهلة في القدس لان كل تنقل كان اذ ذاك عسيراً ومعرضاً للاخطار . دير القديس مرقس عينه أصيب بضرب القنابل . ثم ان برونلي وتريفور وبروز تركوا البلاد عائدين الى اميركا ، وقد اخذوا ..

الصحائف الفوتوغرافية وفي مدة سفرهم بالبحر اهتموا باعداد طبعات مستقبلة . والمطران صموئيل بامر من بطريركه سافر هو ايضاً الى اميركا آخذاً معه المخطوطات المشهورة . كان هذا التصرف غير قانوني لكن له عذره وهو انه لم يكن حينئذ في القدس سلطة محدّدة فان الانتداب البريطاني كان قد انتهى . هوذا قائمة هذا القسم الاول من الاكتشافات :

١ : مقتنيات المطران صموئيل

١ : درج يحتوي كتاب اشعيا عجيب بحفظه كامل او تقريباً كامل . رغماً عن قدمه وعن وضعة الكتابة - فانه مثقّل بنوع شاذ بحروف لاحقة - (matres lectionis) لم يأتنا بمعارف جديدة فيما يخصّ نصّ الكتاب المقدس فانه لا يختلف الا قليلاً عن النصّ العادي او المأثور (massorétique)

٢ : مجلّد محذوف منه في اوله ومُتلف في مواضع اخرى يحتوي تأويلاً لكتاب حبقوق . هذا التأويل كان يفسّر النص المقدس بنوع موافق لتاريخ شيعة يهودية .

٣ : درجان - وفيهما ايضاً خلل - كانا يحتويان مجموع تعاليم مختلفة ادبية ودينية ورسوم تهذيبية : قانون هذه الشيعة او قسم من هذه الشيعة المنقطعة الى حياة من النوع الرهباني . هذا الاثر سمّوه منذ الاول الكتاب التهذيبي .

٤ : درج خامس - مجلد مُفسَد جزئياً - لم يمكن حلّه في القدس ولم يُحلّ الا سنة ١٩٥٥ . لم يلاحظوا اولاً الا انه مكتوب لا باللغة العبرانية لكن بالارامية وبانه يحتوي ولا بدّ تأليفاً محرّفاً (Apocryphe) .

٢ : مقتنيات سوكنيك

١ : مخطوط آخر لاشعيا ناقص سيّئ الحال ذو نصّ هو عين نصّ الكتاب المقدس المأثور .

٢ : اربعة ادراج او قطع ادراج فيها مواضع مُتلفة تحتوي مجموع اناشيد تخصّ هذه الشيعة .

٣ : كتاب للشيعة عينها عنوانه : «سُنّة الحرب» . وقد سمّاه سوكنيك : كفاح ابناء النور ضدّ ابناء الظلمات .

سوكنيك في وسط المقاتلات بين اليهود والعرب حيث كثيرون من ذويه كانوا متجندين توصل الى استباق نشرات الاميركان المقابلة بطبع كراسة جميلة في حزيران ١٩٤٨ بهذا العنوان: « ماغيوت غينوزوت ميشوخ جنيزا قيدومـا شتيمشا بيدبر يهوذا » — معنـاه: مخطوطات قديمة مخفاة صادرة من « جنيزا » موجودة في برية يهوذا - هذا العنوان يدل على انه اعتبر مغـارة الاكتشاف « جنيزا » (اي: محل توضع فيه المخطوطات التقايات) متعلقاً بكنيس مفروض في هذه البراري المقفرة. وهذا ظن بعيد التصديق. كراسة ثانية تبعت في سنة ١٩٥٠. الكراستان كانتا تعرفان بمجموع الاناشيد وبكتاب سنـة الحرب لكن دون نصوص كاملة. الطبعة التامة تأخرت بسبب موت سوكنيك ولم تظهر الا في سنة ١٩٥٤ باللغة العبرانية ثم في ١٩٥٥ باللغة الانكليزية.

بفضل جهود السيد و. بروناي ظهر بسرعة نص كتب ثلاثة من القائمـة الاخرى وهي اشعيا وتأويل حبقوق في سنة ١٩٤٨ ثم بعد زمن قصير كتاب التهذيب والترجمة الى اللغة الانكليزية في ( Bulletin of American Schood of Or.R. ) منذ ١٩٥٠ و ١٩٥١ برّو وتريفير وبرونلي أتموا عملهم بنشر مجلـدين جميلين من « صور طبق الأصل » ( facsimilés ).

اما المخطوطات عينها فلم تجد في اميركا من يشتريها. لم يتوصل سيـادة المطران صموئيل الى بيعها الا سنة ١٩٥٤ بثمن غالٍ ٢٥٠٫٠٠٠ دولار: اشترتها دولة اسرائيل وهي تجمع الآن معاً المخطوطات السبع الاولى.

دون انتظار الاكتشافات التابعة — ولم يكن من ينتظر اهميتها — اقبلت جماعات علماء الكتاب المقدس والآثار وغيرهم من الاختصاصيين ذوي جـدارة مختلفة على الاستفادة من هذا الحظ. في اميركا وانكلترة والمانية وفرنسة وفي بلاد اخرى اتصلت البحوث الى تراكم الظنون والاوهام والى بعث مجادلات حامية.

نعلم ان السيد دوبون — سومر أول بجرأة بعض المواضع من تأويل حبقوق بنوع انه اعتقد بوجود سيما. يسوع المسيح الجوهرية في شخصية زب العـدل اللغزية: الآلام والقيامة والمجيء. المقبل حتى والاصل الالهي. كانت هذه تجربة خطرة للغاية وهو نفسه تركها تماماً ثم رفضها كل العلماء. ذوي الجدارة وقد اتفق هؤلاء بالخصوص على انه بموجب ما توحي به النصوص عبارات كثيرة يلزم ان

نفسها لا عن ربّ العدالة لكن عن عدوه الكاهن الكافر وهذا ما يغير كثيراً اوضاع المشكلة .

والحق هو انه من هذه القطع ومن التي سوف تُضمّ اليها فيما بعد سينبعث أضواء ثمينة تنير المجتمع اليهودي في ايام يوحنا المعمدان وحياة المسيح التعليمية والكنيسة الاولى .

لو توقف الباحثون عند اوضاع الايام الاولى لربما بقيت ايضاً المجادلات دون جدوى وحقيقة الإدراج نفسها مريبة ..

المهمّ الاول كان على الاقل التفتيش عن المحل الذي فيه كان الاكتشاف.

كان بدويو تعميرة قد تكلموا عن مغارة تقع في نواحي البحر المائت وكان المكتشف معروفاً جيداً ومُعيناً وهو شاب من قبيلتهم اسمه محمد الديب . الرواية « الرسمية » تقول بانه وجد المغارة عند تفتيشه عن عنزة ضائمة وفي هذه الاثناء وقف ليستريح هنيهة ثم خطر على باله ليتلهّى ان يلقي حجراً في ثقب فسمع له عند سقوطه صوت خزف يتكسّر وهذا ما حمله على الرجوع الى المغارة بعد زمن قليل مع ابن عمه احمد محمد فوجدا فيها ما عدا شقفاً مكسرة ثماني جرار صحيحة احداها تحتوي على مخطوطات . كان ذلك في شباط او اذار من سنة ١٩٤٧ .

كل العلماء الاوروبيين والاميركيين كانوا راغبين في الذهاب الى المغارة لرؤيتها . لكن احوال البلاد جعلت وقتياً ذلك الجولان صعباً مخطراً خصوصاً للاجانب . في كانون الثاني ١٩٤٨ بواسطة ضباط انكليز من الجوقة العربية والضابط البلجيكي ليبونس مراقب جمعية البلاد المتحدة عُرفت المغارة المذكورة ثم بعد قليل ذهب الى زيارتها مناظر مصلحة الآثار الاردنية ج. ل. هاردنغ والاب المحترم دي فو وآخرون . لسوء الحظ كان قد مرّ فيها خفية قبلهم بقليل اناس حفروا الارض وقلبوا منظر المحل وقد تركوا عدداً من الخزف ومن اجزاء مخطوطات . اذن مغارة الاكتشاف هي هذه ولا شك بعد بحقيقتها .

تنفتح المغارة في منحدر ارض تطلّ على البحر على حافة نأتئ صخري من جهة الشمال الغربي — الجنوب الشرقي يصل بزاوية حادّة الى شاطئ البحر المائت في رأس فشكا بالقرب من واحة تسقيها مياه عين فشكا . قد استعملوا مدة من الزمان هذين الاسمين في النشرات لتعين موقع المخطوطات .

في الشمال هذه الحذة باتجاه طريق اريحا متوازيا يمتد واد وادي قمران لا ماء فيه في اكبر جزء من السنة ثم من الجهة المقابلة لهذا الوادي رصيف تراب صعب المنحدر . على هذا الرصيف كانت تقوم انقاض باسم خربة قمران .

هذه الانقاض كانت قد بقيت دون كشف وهي معروفة من زمان طويل وبخصوص اهلها كانت التخمينات شتى : أتكون قلعة رومانية او مدفناً او عمارة عربية لم يكن من يعلم ذلك . يوجد حديث يعتمد على لفظ البدويين لاسمها « غمران » يقول بانها عمورة المذكورة في الكتاب المقدس .

السيد هاردنغ والاب دي فو بعد كشف قصير لهذه المواضع لم يريا جديرًا بان يُعمل حفريات حقيقية فيها . لكن غيرهم كانوا يطالبون بها وخصوصاً العالم الكبير الالماني پول كهلي . ثم بوشر العمل دفعة اولى مدة خريف وشتاء ١٩٥١ . كان رأي كهلي صائباً للغاية فان هذه الحفريات والتي تبعتها سنة ١٩٥٣—١٩٥٤—١٩٥٥ افضت الى نتائج عظيمة الفائدة .

في تلك الاثناء لم يخطر على بال التفتيش في خاريب فشكا او مغاور اخرى في النواحي للبحث عما يمكن ان تحتويه هي ايضاً للاعتقاد السائد بانه ليس هناك ما يهم الا المخطوطات الكبيرة والجزئية التي وُجدت في المغارة الشهيرة ونظنها الوحيدة .

لكن البدويين كانوا قد لاحظوا اهمية عتائق صخورهم بنظر علماء الآثار وعدّدوا الفوائد العظيمة التي يمكنهم اجتناؤها .

اذن عادوا من جديد الى القدس في كانون الاول ١٩٥١ وبايديهم قسم آخر مختلف جدًا عن الاول : نفثات وجدوها في وادي مُربَّعات على بعد ٢٥ كيلومترًا من جهة الجنوب وفيها كانت تحتوي عليه آثار تختص بعصيان اليهود الثاني من سنة ١٣٢ الى ١٣٥ من تاريخنا في زمان كان المتمرّدون يأوون الى هذه المغاور . تفتيشات رسمية تمت اثناء المخطوطات وآثار اخرى غيرها قديمة .

كذا حدث ايضاً لخربة مجد : انقاض دير مبنيّ هو ايضاً في موقع قلعة هيركانيون للاسمونيين . بعد البدويين جاء من لوفان علماء آثار ووجدوا نصوصاً بتاريخ نهاية العصر البيزنطي وبدء العصر العربي .

من محل آخر بقي مجهولاً جاء التعميرة سنة ١٩٥٢ بقسيم آخر ومما يحتويه برديّات نبطية .

هذه اللقطات التي بمحتواها وبمحلها الاصلي غريبة عن مجموعة قمران لها هي ايضاً اهمية كبيرة وسوف نعود الى الكلام عنها في آخر هذه الاسطر .

لكن بفضل مداخلة التعميرة المستمرّة كانت منحدر فشكا ونواحي خربة مزمعة ان تسلمنا كنوزاً اخرى عديدة .

بعد ذلك اضحت مغارة الاكتشاف الاول الشهيرة المغارة ١ ( ق ١ في قائمة اصطلاحات « القمرانيين » ) فانه منذ شباط ١٩٥٢ تثبّت بان البدويين قد وجدوا مستودعاً آخر ( ق ٢ ) لكنه ليس غنياً جداً .

انتبه علماء الآثار الى ذلـك فأسرعوا الى كشف منظّم لكل مخاريب منحدر فشكا على جبهة طولها ثماني كيلومترات . عشرون مغارة تقريباً كانت تحتوي آنية من الفخار تشبه التي وجدوها في خربة وفي واحدة منها ( ق ٣ ) قد وجدوا مخطوطات احداها هي فريدة في نوعها : درجان من نحـاس عليها نصّ عبراني منقور . ( ٢٢—١٠ آذار ١٩٥٢ )

بعد انتهاء هذا العمل غلب الظنّ بان اللقطة اكتملت وان بضاعـة آثار قمران كلها قد جُمعت .

كان هذا الظنّ باطـلاً فالتعميرة ابطال الكشف الاثري الحقيقيّون اثبتوا بعدئذ ذلك جلياً ان المحل الذي تمّ التفتيش فيه هو منحـدر من حجر كلسي جيد تُثبت فيه اغوار قادرة على مقاومة الاجيال وتقديم ملاجئ امينة ولو جافية للانسان ولمخطوطاته . اما من جهة الوادي الاخرى فكان يوجد ثقوب مفتوحة لكن في تراب كلسيّ ممزوج بصلصال وهي قلما تجذب الناظر اليهـا . اذا افترضنا بان هذه الثقوب هي مداخل لمغاور قليلة المتانـة فهل يطرأ على فكر انسان بان يعهد اليها بودائع ثمينة وهل يمكن ان تحفظها مدة اجيال صالحـة لافادة ولو غير صحيحة .

البدويون انفسهم لم يكونوا بلا شك يحسبون ذلك لو لم يدفعهم اليه ذكر حادث قديم شبيه بالذي حدث لمحمد الديب سنة ١٩٤٧ . رجل من القبيلة شيخ سمع الشبان يتكلمون عن اعمالهم الرابحة فرأى ان يتكلم هو ايضاً، لقد حدث

له قديماً ايام شبابه انه كان يوماً يتّبع في الوادي حجلةً وانهـا ذهبت واختفت في ثقب باتجاه الخراب فدخل هو ايضاً الى الثقب ومنه اخذ مع الحجلة سراجاً عتيقاً وآنية من الفخار . فاستفاد سامعوه من هذا الخبر وبعد زمن قليل شبان اخذوا معهم حبالاً وزوادة وادوات ومشاعل وتوجهوا الى الغار الذي دلت عليه اقوال الشيخ ، فكان لهم الحظ بوجودها ولما وصلوا الى داخلها اخذوا بتعزيل تراب الردم الذي كان يغطي الارض لقد التزموا بقلب عدة امتار مربعـة من التراب وحينئذٍ رأوا امامهم مستودعاً خارق العادة اغنى من كل مستودعـات النواحي (ق ٤) كان هناك مخطوطات قد لوّثها الوحل مخرّقة اجزاء لا شكل لها ، لكن بمقدار غير عاديّ . آلاف من قطع الجلد الصغيرة وُجدت هناك وهي توازي تقريباً اربعمئة مخطوطة .

مستودعات اخرى اقل اهمية ( المغاور ١٠—٥ ) اكتُشفت بقرب الخراب أُخذ منها كل ما احتوته .

الاكتشاف الاخير حدث في ربيع ١٩٥٦ في منحدر فشكا . كان هنـاك غار مردوم المدخل ولم يكن ما يدلّ على وجوده الا شقّ بارز فوق كومـة القضض . مذاقة التعميرة العجيبة الرغيبة وحدها قدرت ان تكشفها .

وكانت التعميرة قد استفادت فائدة ضخمة من المغـاور الاولى وخصوصاً من المغارة ٤ الخارقة العادة . قد دفعت حكومة الاردن خمسة عشر الف ليرة سترلنغ لكن هذه القيمة لم تكف فاضطرت مؤسسات علمية عديدة ان تزيد عليها حصتها مما وجب دفعه .

احد عشر مستودعاً من المخطوطات (المغاور ١١—١ منها ١ و ٤ و ١١ هي الاهم ) هذا هو عدد اكتشافات قمران الحالي وهي تكوّن مجموعاً متجانساً هو كما سنرى مناسباً مع سكان ابنية الرصيف المجاور . الى هذا المجموع أُضيف ما أُوتي به من مختلف المخطوطات وآثار شتى لتواريخ مختلفة وُجدت ابعـد جنوباً وشرقاً في وادي مربّت وخربة ميرد .

كل ما اعطته هذه الاكتشافات مجموعٌ اليوم اقلّ مـا يكون وقتياً في متحف القدس الاردني ما عدا سبعة ادراج المغارة الاولى فهي بحوزة اسرائيل كذلك ما تبقّى بعد عند البدويين ولسوء الحظ ايضاً يوجد قطع عنـد افراد

اشتروها ولا يقدرون ان يفيدوا منها البتة .

المجموع جسيم وأجسم منه العمل الذي يتطلّبه.

بعد الحصول على محتوى المغارة ٤ صار من الواجب اقامة جمعية دولية مؤلفة من اختصاصين من شتى الطوائف المسيحية يهتمون ببسط الادراج وتصنيفها وتصويرها وقراءتها وترجمتها : عمل عظيم للغاية .

اعضاء هذه الجمعية هم: المونسنيور ب. و. سكيهن معلم في جامعة واشنطون الكاثوليكية . وف. م. كروس من «مك كورمك تيولوجيكل سيناري» ( Mc Cormick Theological Seminary ) وهو متفوّق في علم الخطوط والكتابات العتيقة. و ج. م. اليغرو مساعد في جامعة مانشستر . و ج. ستروغنيل من اكسفورد . و س . ه . هونزنغر من جامعة غوتنغن والاب جان ستاركي والاب ج. ت. ميليك وكلاهما على حساب المركز الوطني الفرنسي للتفتيش العلمي (Centre national français de la Recherche scientifique) . مهمة خصوصية تسلمها الاب م. بايبا وهو معلم في جامعة تولوز الكاثوليكية فقد فوّض اليه امر القطع التي أُخذت من المغاور ٢ و٣ و٦ .

يتوقعون نشر عشرة مجلدات للطبعة التامة للكل بهذا العنوان: اكتشافات في برّية يهوذا ( Discoveries in the Judaean Desert ) ظهر منها الاول فقط في اكسفورد سنة ١٩٥٥ وهو يختص بالقطع المكتشفة في المغارة الأولى .

قطع جديدة نُشرت على حدة خصوصاً في مجلة الكتاب المقدس(Revue Biblique) ومجلة تآليف الكتاب المقدس ( Journal of Biblical Literature ) . فيما يخص القطع التي لم تُنشر مع التي حُقق فيها حديثًا أعطانا عدة معلومات خصوصاً كتاب الاب ميليك فانه جدير ليكون في طليعة المستعلمين في هذا الموضوع.

اننا نرى مفيدًا اختتام هذا العرض التاريخي للاكتشافات بموجز تاريخي:

— بدء ١٩٤٧ : اكتشاف المغارة . اكتشفها التعميري محمد الديب — في مدة ١٩٤٧ : بيع المخطوطات السبع الاولى جزء منها للتروبوليت صموئيل وجزء للجامعة العبرية .

— سنة ١٩٤٨ :التثبت من المخطوطات والابتداء بنشرها — بدء مباحثات مهمة بين العلماء . ردّدت شتى اصديتها التآليف الكبيرة والملأ .

— سنة ١٩٤٩ : التثبت من المغارة ١. دوام المجادلات دون ان يقع امر جديد ينيرها .

— سنة ١٩٥٠ : لم يحدث حادث جديد في الموضع .

— سنة ١٩٥١ : لُقطات البدويين في وادي مرّبط. اول مباشرة حفريات في خربة قمران .

— سنة ١٩٥٢ : السنة الكبرى للاكتشافات .

حفريات في وادي مربّط . اكتشاف المغارتين ٢ و ٣ ( الربيع ) . الصيف والخريف : يجد البدويون خربة ميرد ثم المغارة ٤ . تفتيش واكتشاف المغاور ٥ و ٦ و ٧ .

— سنة ١٩٥٣ : حفريات بلجيكية في خربة ميرد .

: تفتيش جديد في خربة قمران .

— سنة ١٩٥٤ : تفتيش ثالث في خربة قمران . دولة اسرائيل تشتري المخطوطات من المتروبوليت صموئيل .

— سنة ١٩٥٥ : تفتيش حفريات رابع في خربة قمران ونواحيها وكشف المغارة ١١ .

### تاريخ مخطوطات قمران

قبل الحفريات في قمران من سنة ١٩٤٨ الى ١٩٥١ الادلة المساعدة على تدريخ المخطوطات التي وُجدت في نواحي قمران لم تكن واضحة بالكفاية . علم الخطوط والكتابات القديمة كانت تشير ولا بدّ الى قدم كبير لكن يصعب تحديده . طريقة الراديو - كربون١٤ التي استعملت باتلاف اقمشة كانت مع المخطوطات اعطت عند الفحص سنة ٣٣ من تاريخنا . لكن لهذا الاسلوب احتمال خطأ قد بلغ الى منتي سنة فتكون اذ ذاك المدة متراوحة بين ١٦٧ الى ٢٣٣ من تاريخنا .

علماء عديدون خصوصاً البعيدون عن موقع الاكتشافات او هم مؤرخون اكثر مما هم علماء بالآثار كانوا يميلون مبدئياً وتحفظاً لتواريخ متأخرة . لذلك نرى العالمين الكبيرين في الامور السامية بول كهلي و ج. ر. دريفر يدفعان تاريخ المستودع الى الجيل الثالث بل حتى القرون المتوسطة . علماء اسرائيليون

اتوا المجادلة بمعلومات ثمينة لكن ايضاً بآراء متصلبة للغاية فبرأي دل ميدكو وسوكنيك نفسه مستودع مخطوطات باللغة العبرانيـة هو ضرورة « جنيزة » كنيس ولو وُجد في برية منعزلة . وسالومون زيتلين مدير مجلة (Jewish Quarterly Review) ارتأى اعتماداً على مبدأ اول للبحوث اليهودية بانه « لا تأويل اقدم من العصور المتوسطة والحال ان مكتشفات البحر المائت تحتوي تأويلاً . اذن . . . »

بالعكس ميثلان كبيران للتفتيش في ارضه السيد هاردنغ والاب المحترم دو فو ومعهما آخرون يرتأون حسب ادلة الآنية الخزفية بان جرار المغارة هي من العصر اليوناني لا الروماني فيكون اذن المستودع سابقاً لتاريخنا بستين سنة على الاقل .

دون اثباتات جديدة أكان ممكناً التوصل الى حلّ اكيد . هذه الاثباتات لحسن الحظ اعطتها بعدئذٍ حفريات خربة قمران .

فقد كشفت — دون ان تعطينا مخطوطات — عن ابنية تقابل بنوع جلي مستودعات المغاور كانت تسكن فيها الشيعة اليهودية التي يكلمنا عنها «التأويل لحبقوق» و«كتاب التهذيب» وقد وجدوا ايضاً فيها آنية من خزف تشبه التي وُجدت مع المدارج . وجدوا ايضاً فيها نقوداً تدلّ دلالة تبين ثابتـة على ان اعضاء هذه الشيعة كانوا قد اقاموا فيها عند منتصف الجيل الثاني قبل تاريخنا ويظهر جلياً جداً بانهم لم يتمكنوا على المكوث فيها الى السنة السبعين من تاريخنا . ما عدا ذلك ان آثار حريق شديدة وتهوّر الجدران وسقوط سقف على كومة من الآنية المنتظمة تدلّ على ان الابنية سكنى هذه الجماعة لم تُترك اختيارياً لكنها هُدمت هدماً . وان حدود سهام مثلثة الاجنحة خاصة بالتسلّح الروماني وبقايا ونقود تركها الجنود فوق الردم تساعدنا على تصوّر الفاجعة وتاريخها بتدقيق. يخبرنا المؤرخ جوزيف (يوسيفوس وهو يهودي) بان فسباسيان — وكان اذ ذاك قائداً للجيوش المرسلة لاخضاع العصيان اليهودي — انتقل في صيف سنة ٦٨ من قيصرية الى وادي الاردن وهو رئيس للفرقة العاشرة (Xa Legio Fretensis) لا بد ان هؤلاء الجنود قد اهتموا معاً بتحصين اريحا وبالقضاء على كل جماعات المقاومة الموجودة والذين يأتون من بعد في النواحي . فكانت قمران من هذا العدد وعلى

اخربتها قد اقيم مدة طويلة مركز جنود للمراقبة .

اذن عندنا هكذا امر اكيد بخصوص تاريخ مستودعات المخطوطات فانها كلها سابقة لخراب ابنية خربة قمران الذي حدث سنة ٦٨ . قد يكون بعضها خاصاً بمكتبة شخصية لعضو من أعضاء هذه الشيعة كان يسكن في الليل على الاقل في المغاور لكن الاهمّ من هذه المخطوطات ولربما جميعها هي قسم من مكتبة عمومية قد أُخفي عمداً ووُضع باعتنا. في اجرار قد أغلقت غلقاً مُحكماً خوفاً من نكبة منتظرة .

قد أُخفيت المخطوطات المكتشفة في نواحي قمران قبل سنة ٦٨ فهي اذن سابقة بقليل او بكثير لهذا التاريخ . اسباب مأخوذة من قدم الخط تدل على ان بعضها قد كُتب قبل تاريخنا وان كتاب صموئيل المحفوظ بقطعتين او ثلاث قطع قد يكون من الجيل الثالث قبل السنة المئتين .

مضمون مخطوطات قمران

في قمران لم يجدوا لا مراسلات ولا اوراق اشغال ولا غيرها من كتابات اقل اهميّة فنوع حياة الجماعة لم يكن ليكثرها ولما دعت الحاجة الى انقاذ كنوز المكتبة من الغزاة لم يكن هنالك ما يستحق ذلك غير الكتب الحقيقية .

يمكن تصنيف هذه الكتب تحت اربعة عناوين :

كتب العهد القديم « القانونية الاولى » (التي يحتويها الكتاب المقدس العبراني ) .

الكتب « القانونية الثانية » ( التي لا توجد في الكتاب المقدس العبراني لكنها موجودة في « السبعينية » اليونانية ( la Septante )

كتب « محرّفة » ( apocryphes )

كتب الشيعة واكثرها دينية .

١ : كتب العهد القديم

الى اليوم لم يكن عندنا العهد القديم بلغته الاصلية الا بمخطوطات جميلة جداً وفي حالة حسنة لكن اقدمها مجموع (le Codex Petropolitanus) مرسوم : هو من سنة ٩١٦ من تاريخنا . ليس عندنا الا بردي مجهول التاريخ، البردي « ناش » يحفظ اسطراً مكتوبة من عهد قديم حقاً .

حالة تقليد مخطوطات العهد القديم هذه. كانت جديرة بالاسف بالخصوص لانها كُتبت بعد ان ثبّت ربانيون متخصصون نصًا منتخبًا بتدقيق ، وكانت تنسخ بامانة خارقة العادة بحيث ان مفسري الكتاب المقدس لا يجدون فيها شيئاً من الفروق بالنسخ : من هذه الفروق التي فيها يبقى احياناً النصّ الاول الحقيقي والمعنى الصحيح لعبارات لا تزال تُفهم بغير معناها الحقيقي . النصوص الكتابية التي وُجدت في مُربَّط وهي تابعة لهذا التثبيت المفرط بيّنته فقط لنا منذ زمن قديم . ما عسى مخطوطات قمران تعطينا بهذا الخصوص .

لقد اعلمتنا خاصةً بان نصّ الربانيين او النص المأثور (massorétique) يطابق تقليدًا ثابتاً لا يعارضه الا مثال اصليّ واحد كان مترجمو السبعينية قد اعتمدوا عليه . مخطوطات قمران تتبع اغلب الاحيان هذا المثال لا المثال المأثور فيما يخص الكتب التاريخية وقد يكون هذا المثال الاثبت فيما يخص هذه الكتب .

ما عدا هذه النتائج العمومية تعطينا مخطوطات قمران الكتابية عددًا من الفروق منها جزء صغير وُجد في مخطوط المغارة ١ الشهير ومن المحتمل ان يتخذوها كقراءة ثابتة لبعض كلمات اشعيا .

مغاور قمران قد أعطتنا — بمخطوط تامّ تقريباً لاشعيا وبقطع مختلفة القدر واحياناً عظيمة لسائر الكتب — نصوص كل كتب العهد القديم العبراني ما عدا كتاب استير . عندنا قطع لاكثر من عشر مخطوطات مختلفة لتثنية الاشتراع واشعيا والانبياء الصغار والمزامير . المغارة ١١ كانت تحوي درجاً للمزامير لم يُدرس بعد ومخطوطاً لسفر الاحبار ومخطوطاً آخر لكتاب ايوب وهو منقول الى اللغة الآرامية .

في المخطوط الكبير لاشعيا نلاحظ في الفصل الثالث والثلاثين اسقاطاً قد يكون اثرًا لزمان اكثر قدمًا لم تكن بعد فيه قد تحقّقت وحدة الكتاب الحالية .

وقد لاحظوا ايضاً بان كتاب المزامير يتبع ترتيباً مختلفاً عن ترتيب كتبنا . بعض القطع تقرّبنا كثيرًا حتى من تاريخ تأليف الكتاب . هكذا نسخة سفر الجامعة تتبعه بقرن واحد فقط ونسخة دانيال قد يكون التأخر نحو خمسين سنة .

٢ : نصوص كتب العهد القديم « القانونية الثانية ».

نعرف بان « جنيزة » القاهرة — وقد انتفع منها البعض منذ سنة ١٨٩٦ الى ١٩٠٠ — قد سلمتنا النص العبراني لكتاب يشوع بن سيراخ ( Ecclésiastique ) وكان الى هذا التاريخ عندنا مجهولًا . وفي المغارة ٤ بين القطع التي ظهرت وُجد اجزاء من نفس هذا الكتاب (٦ : ٣١–٢٣) .

أحدث هو ظهور كتاب طوبيا وكان القديس ايرونيموس قد وجده واستعمله وهو باللغة الآرامية وحسب قول القديس باللغة الكلدانية في قمران وجد منه قطع بالآرامية (مخطوطتان) وبالعبرانية (واحدة) .

٣ : الكتب المحرّفة ( Apocryphes )

من هذه الكتب نعرف للعهد القديم ثلاثة كباراً محفوظة في مخطوطات مسيحية بترجماتها اليونانية واللاتينية وخصوصاً الاثيوبية : كتاب اليوبيلات وكتاب اخنوخ ووصية الآباء الاثني عشر . رغماً عن تأكد وجود نصوص مسيحية مدرجة فيها كانوا يظنونها جوهرياً من اصل يهوديّ .

ان اكتشافات قمران قد ثبّت هذا الظن بخصوص كتاب اليوبيلات لا فيما يخص اخنوخ ووصية الآباء . من تراجم اخنوخ المسيحية يظهر ان جزءاً كبيراً هو ادراج المؤلف ومن المحتمل ان يكون هذا يهودياً - مسيحياً وحسب شهادة عشر من مخطوطات قمران لم يكن للاقدمين اليهود فيها الا جزءان اي سفر اخنوخ ثم رُؤياه وقد يكونان كتابين منفردين . قطع من مخطوطات المغاور تعطينا وصيّة للاوي واخرى لنفتالي وقد تكون هاتان الوصيّتان المفترقتان قطعتين استفاد منها واوجزهما يهودي - مسيحي من الجيل الثاني وادرجها ببراعة في مجموع كامل « لوصايا ابناء يعقوب الاثني عشر » .

مع الكتب المحرّفة المعروفة برزت تآليف اخرى . اندرج الآرامي بعد التوصل بصعوبة الى حله ومعه ادراج اخرى للتوروبوليت صموئيل يعطينا تفسيرا لكتاب التكوين من نوع المدراش الساذج . هذا الكتاب المبتور في اوله يبدأ بكتاب للامك وهو يخبر فيما يخبر به عن تعقل نوح عند ولادته . ثم يتبع كتاب لنوح وهو يبتدى بهذا التصريح الورع : « كل ايام حياتي قلت الحق دائماً » .

ثم تآليف باسم مستعار ارميا عندنا منه بضع نسخ لا يشبه ما كنا نعرفه الى الآن من هذا النوع .

ودرج صغير ارامي عنوانه صلاة نابونيد وهو جدير بالانتباه .

نعرف الفصل الرابع من كتاب دانيال الذي يكلم فينا المخيّلة خصوصاً : يعرض علينا نبوخذنصر العظيم مصاباً بمرض غريب يضطره مدة سبع سنين الى ان يعيش حياة حيوان وحشي في قصره في بابل ثم يشفى بوساطة دانيال بعد ان يصلي الى الإله الحقيقي . التأويل حتى الذي يميل الى قبول حقيقة الكتاب التاريخية قبولاً تاماً كانت مرتبكة لا فقط بنوع المرض الشاذ لكن ايضاً باسم نبوخذنصر وباسم بابل . الامكان الوحيد لوجود ملك كلداني في شدة طويلة الأمد هي باسم خليفته نبونيد المنفرد مدة سبع سنين لا في بابل لكن في واحة تيا . وهذا عارض كانت تواريخ المملكة تذكره صريحاً . القطعة الجديدة تخص نبونيد بهذا الحادث وتعيّن مدينة تيا . محلاً لمرضه واهتدائه الى الإله الحقيقي . هذه رواية أولى اقل مشهداً واقل نبوة عن الحوادث التاريخية للحادث الشهير الذي وقع لنبوخذنصر المتحول الى بهيمة .

٦ : كتب جمية قمران

في المكتشفات الاولى كان يوجد مدرج مقطوع الى جزئين مبتور في اوله يحتوي قانون جمعية مقيمة في قمران سمّاه الناشرون « كتاب التهذيب » وهو مجموع اوامر وتعليم ادبي ينتهي بنشيد . هذا الكتاب يكلمنا طويلاً عن اعمال ساكني هذه المحال وعن افكارهم لكنه يمتنع عن تفصيل ظروف الحياة المادية والمعيشة المشتركة التي كنا نتمنى معرفتها .

قطع المغارة ١ زادت عليه « العمودين » صفحة ظنوها اولاً شيئاً من الجزء البدئي الناقص من كتاب التهذيب لكنها اقل ما يكون من النوع عينه.

بعد ذلك ومراراً عديدة مع قطع من كتاب التهذيب برزت اسطر من تأليف كان لدينا اصله من « جنيزة » القاهرة « حجة الشام » وهو باق الى الآن متفرداً : هو قانون مثل كتاب التهذيب يشبهه كثيراً لكنه لا يفرض عند الذين يتبعونه عين انواع الحياة الاجتماعية بحصر المعنى . وجوده في قمران يدل على

ان الاثنين يصدران من الشيعة اليهودية عينها وانه يمكن الانتفاع من الاثنين معاً للاجتهاد في تشخيصها . هذا ما علينا عمله فيما يأتي :

لتفسير حبقوق فائدة مختلفة فان له صفة خاصة . النص المقدس آية فآية يُطبق على تاريخ الشيعة في مدة من الزمان لا يمكن ابداً ان يتجاوز السنة الـ ١٧٥ قبل تاريخنا ولا ان يتعدى جلوس هيرودس حتى ولا ان يتصل به في سنة ٣١ قبل تاريخنا . أيكونون قد اعطونا هذا التاريخ صريحاً : المثلان الكبيران هما رب العدالة وهو معلم الشيعة الكبير . ثم خصمه الكاهن المنافق وهو أو ليس بعينه رجل الكذب بينما يدخل الجناء من بيت انسالون ويتربص « الكثيم » الهائلون . هل نحن ازاء براعة انشائية او حاجة حقيقية للتكلم في التخفي بالفاظ غامضة . مهما كان الحال النتيجة هي عينها واذا رأى هذا او ذلك من الحاليين ان يعالج الترجمة فان انتظار ترجمة واضحة لهذا النوع من الرؤيا قد يدوم دواماً لا حد له .

كتاب جميل وهو متلف لسوء الحظ يحتوي اناشيد (هُدَيوت) يبدأ بـ : « اشكرك يا رب لأن ... » مثل صلاة الفريسي في الانجيل لكن بروح تواضع وعواطف سامية امام الله . هذه الاناشيد ينشدها تباع شيعة قمران في صلاتهم العمومية او الخصوصية وكأنها تلمح صريحاً الى حياة تجتازها المحن وقد غمرتها العطايا الالهية يشهد الضمير لها بانها قد علمت بنفوذ لعدد كبير الطريق المؤدية الى الله . قد تكون هذه الاناشيد من صنع رب العدالة نفسه يصف حياته او من صُنع احد المُعجبين به يتكلم باسمه .

اكثر غرابة هو « قانون الحرب » ويسميه سوكنيك « عراك أبناء النور وابناء الظلمات » حسب رأي ايغال يادين ابن سوكنيك وهو متخرج في امور الحرب من سنة ١٩٣٩ الى ١٩٤٤ ثم سنة ١٩٤٨ نجد في هذا الكتاب تماماً فن الحرب الحقيقي مأخوذاً عن كتب فنية رومانية . لكن ذلك لا يقلل ما فيه من الغرابة والخيال . فيه وصف حرب تحت ادارة الكاهن الاعظم نفسه يقود فيه الحركات العسكرية كهنة بصوت الابواق ، ويأتي انكسار العدو واندحاره في الوقت المعيَّن . حسب قول السيد بروز : « قصة الحوادث ثم وجود عدو لا بدّ من انهزامه او سقوطه مائتاً في الوقت الموافق يذكرنا بالاحرى رقصاً لا

قتالا » (ص ٢٤) . الخصم هو جيش بليعـال وهو مركّب من « كتيم » آثور و« كتيم » مصر وفرق آدوم ومواب وعمون والفلسطية . الى اي شيء تعود هذه التخصيصات الحاليّة . ظنّ البعض بانها تتكلم عن قتال تاريخي لكن هذا امر عسر القبول . ويصعب ايضاً علينا ان لا نرى فيه الا استعارات حرب روحية . ما نراه فيه بجلاء هو امتداد الوطنية عند الشعب اليهودي في تردّيه وتجاوزه بالمسيح الآتي المقترن بهذه الوطنيّة . لا بد ان عدداً من رهبان قمران كانوا ينتظرون قريباً مجيء المسيح او بالاحرى مجيء المسيحَين مسيح هارون ومسيح اسرائيل ومعها حرباً ظافرة لابناء النور وهم قمران ومتشايعيه ضدّ بقية العالم وهم ابناء بليعال والظلمات .

من هذا الشكل عينه في انتظار المسيح يوجد مقتطفات من اقوال وشواهد مأخوذة من كتب العهد القديم أدمجت فيها عبارات من اناشيد يشوع المحرّفة وقطع تجانس « الحلقة » الربانية تؤيّد قوانين قمران بنصوص من التوراة و« الميشاروت » او تناوب العائلات الكهنوتية في الهيكل هي مفيدة لانها تعطينا تقديم الشيعة السنوي . كهنة الشيعة من سبب انشقاقهم ما كانوا يمارسون الخدم الدينية في الهيكل ؟ اذن هذه الكتب ترجع الى حقّ حرموه ظلماً وتنظر الى مستقبل ولو سماوي حيث الخدم الدينية الموسوية سوف تدوم دائماً .

نذكر ايضاً بقايا تفاسير اشعيا وميخا وناحوم والمزامير ووصفاً لاورشليم السماوية وتناجيم وكتابات بحروف سرّية . ويظهر ان القائمة سوف تطول عندما يتقدم فحص قطع المغارة ٤ الشاق تقدماً كافياً .

ننهي بكلام وجيز عن الادراج النحاسية التي وُجدت في المغارة ٣ التي يصعب حلّها كثيراً . هي لفائف معدنية طولها متران واربعون سانتيماً . لو كان نصّها يقابل اشياء صحيحة لكان ثمة لا يُقدّر فانه يدّعي بتعيين ستين مُخبأ للكنوز مختلفة : ذهب وفضة وبخور وعطور ثمينة . هذا كله في امكنة شتى من فلسطين لكن في القدس خصوصاً وفي مقبرة قدرون . من جملة المستودعات : ستة آلاف ثقل (talents) اي ٢٠٠ طنّ (tonnes) من المعدن الثمين : نستنتج بان هذه القائمة هي مُختلقة تماماً بانها عمل سذاجة مخيّلات صبيانية او سقيمة وقد يكون ساعد في عملها سارق ماكر محتال . عندنا غير امثال من هذا النوع من

الإقاصيص منها ما نشره سنة ١٩٠٧ احمد بك كمال :« كتاب اللآلئ المدفونة والكنوز المخزونة » .

شيعة قمران الاسانيون

مؤلّفان من اليهود فيلون ويوسيف تركا لنا وصف شيعة يهودية : « الاسّانيين » ويدّعيان بان عدد اعضائها بلغ تقريباً اربعة آلاف . ويوسيف يقابلها مع الفريسيّين والصدوقيين كمدرسة ثالثة . ينتج من مقالهما ان تبّاع هذه الشيعة على الاقل عدد كبير منهم كانوا يعيشون عزّاباً ويلزمون انفسهم حياة شبيهة بحياة الرهبان المسيحيين : معيشة زاهدة وطاعة موجبة والشركة في الاموال والصلوات المطوّلة والشغل والاكل معاً . وهذا لكل من الاعضاء بعد نوع من الطلب او الابتداء يدوم سنتين .

والعالم الروماني بلين « القديم » الذي كان قد تجول في الشرق يخبرهو ايضاً بايجاز في كتاب علم الطبيعيات عن وجود الاسانيين ويندهل كثيراً من تبتلهم : « في غرب بحيرة الاسفلتيك ( البحر المائت ) يقيم الاسانيون بعيداً وراء منطقة الشاطئ المضرّة . شعب منعزل اغرب ما يكون دون نساء دون حب دون مال يعيش في صحبة « النخيل » وكان قد زار او على الاقل قد عاين هذا المقام في روايته عن سفره يلاحظ بعد ذلك بانه في الاسفل ( infra ) على الطريق كانت عنجدا اي عنجدي . ان استعمال بلين هذه الكلمة يعني « في مجرى النهر » الاسفل عندما يتحدث عن امكنة واقعة على جانب نهر وانّ العادة اعتبار البحر المائت كامتداد مجرى الاردن — كما تشهد بذلك مصادر اخرى — اننا نرى امراً صعباً عدم قبول وحدة مقرّ قمران وما رآه بلين ووحدة سكانه واسينيي بلين . اما هؤلاء فهم قسم من الشيعة التي عرفها فيلون ويوسيف .

قبل سنة ١٩٥١ والحفريات في خربة ، اعتماداً على آثار قليلة جداً كانت قد عُرضت تحقيقات اخرى بخصوص مؤلفي « كتاب التهذيب » وتفسير حبقوق . رأى بعضهم بانهم الابيونيون او يهود — مسيحيون او يهود « قرائيون » من العصور المتوسطة . لقد مرّ زمن هذه التخمينات . يريد دل مديكو الى الآن ان يجد في قمران غير الاسيئين وهم « الغيورون » ( Zélotes ) وهؤلاء هم حزب

وطنيّ اكثر مما هم حزب ديني . قد لعب دوراً كبيراً مدة التمرد الاول فيكون « رب العدالة » القائد ماناهين ابن يهوذا الجليلي ويكون خصمه اليعازار الحبر الاعظم الاخير . رغماً عما جاء به دل مديكو من المهارة للدفاع عن هذا الرأي وما قيل عن قبول السيدين دريفر وروث ( وهما فائقان في اختصاصها ) لهذا الرأي لا يمكننا بالحقيقة ان نأخذ بعين الاعتبار رأياً لا يتّفق الا اتفاقاً لا يُذكر مع معلوماتنا الثابتة بخصوص هذه المسألة . لم يقدر الغيورون ان يفتكروا بالعيشة في قمران خاضعين لقوانين كتاب التهذيب الصارمة مدة سنين تزيد على المئة ولم يقدروا خصوصاً قبل سنة ٦٨ تأليف « تفسير حبقوق » وهو يتكلم عن موت الحبر الاعظم المنافق اذا كان هذا اليعازر فانه سنة السبعين كان حياً ونشيطاً .

لكي نعرف كيف كان يعيش سكان قمران وهم على رأينا الاسينيون فلنتبع خطوات الحفّار لنتفحّص مبانيهم .

نحن على رصيف كلسي قليل الارتفاع تحيط به منحدرات وعرة . من جهة الجنوب وادي قمران . في اكبر جزء من السنة لا ماء فيه لكن المياه تجتمع فيه في الشتاء ومنه تنحدر الى البحر المائت . هذا الماء ذخر ضروري للدير الذي هو بعيد عن كل ينبوع ماء . قناة طويلة تُرى الى اليوم مركّبة على مجرى النهر الفوقاني توصل مياه امطار الشتاء الى مجموع صهاريج او احواض عددها عشرة . على تصميم الحفريات هذه القنوات تذكّر بالمجرى الدموي في جسد حيّ . وفي الواقع يوجد شيء من هذا فان الماء والماء الغزير كان ضرورياً بنوع خصوصي للاسينيّين من اجل تعصبهم في الطهارة الشرعية فانهم كانوا يغطسون في الماء مرارا عديدة . هل يا ترى كان بامكانهم ان يجدّدوا مياه الاحواض بتواتر كما تقتضيه المحافظة على الصحة : سؤال في محله .

جزء من ابنية الدير كان مرتكزاً على اساسات اقدم منه بكثير . السيد ميليك يظنها مدينة الملح القديمة « عير ها ميلاح » التي يتكلم عنها يشوع . ( يشوع ١٥ : ٦٢ )

ثم ابنية اخرى صغرى موجودة في النواحي وهذه الاسوار لربما كانت جزءا من البروج او القليعات التي شُيّدت في ازمنة عوزيا . ( سفر الايام ٢٦ : ١٠ )

مجموع ابنية الدير يختلف تماماً من القرية طوله نحو ثمانين متراً وكذلك عرضه وليس منقسماً الى محالّ سكنى فلا بدّ انّ اكثر الذين كانوا يجتمعون فيه كانوا ينامون في محالّ اخرى : في المغاور التي تركوا فيها شققاً من الفخّار او في خيم او في اكواخ .

يوجد جزءان : البناء الاعظم وهو مربَّع وكان في احد زواياه نوع من البروج وبجانبها قاعة الاجتماع وأبعد منها من جهة الغرب مجموع مرتبك سمّاه الحفّارون « الحي الصناعيّ » :

الارض التي تأخذها الصهاريج فسيحة جدًّا . ثمّ قاعة في اسفل حيطانها دُكك قد تكون محل الاجتماع لدرس الشريعة والمجالس الرؤساء . قريباً من هناك مطبخ فيه مواقد تُعرف بسهولة وفي الحيّ الصناعي وغيره من الامكنة محالّ لشتى الاشغال : مطحنة ومَغسِل ومصبغة وفاخورة وغيرها لا يظهر جلياً المقصود منها لربّما للنسيج ولعمل الثياب . ثمّ حجرة طولها ثلاثة عشر متراً وعرضها اربعة امتار فيها طاولات ضيّقة بوجه سويّ والواح محفورة فيها تخاريب ويتمّم الكل محابر من نحاس ومن خزف وآثار حبر نباتيّ : هذا محلّ للكتابة . كما ان الكتبة كانوا اسرائيليّين وكان عليهم ان يغسلوا حسب النظام الطقسي ايديهم كل مرة عند كتابة اسم يهوى كان لا بد من هذه التخاريب المتلئة ماء . في محل مبتعد قليلاً كان اسطبل .

في الجنوب كانت القاعة الكبرى طولها اثنان وعشرون متراً وعرضها اربعة امتار ونصف المتر . لا بد انها كانت للاجتماعات الاهمّ وللاكل . في زاوية الجنوب الغربي يوجد نحو مئة آنية للمائدة قد تكون الجماعة استعملتها للاكل عشية نكبة بسنة ٦٨ . قريباً منها ذخر آخر من هذه الآنية موضوعة بترتيب يحتوي على اكثر من الف آنية .

من جهة الدير الشرقية المدفن تفرق بينهما ساحة . عدد القبور فيها الف ومئة كلها تمتد من الشمال الى الجنوب ضد العادة الجارية في الشرق التي تمتد قبورها من الشرق الى الغرب . على القبور لا توجد اسماء ولا بلاط بيناء . لكن فقط كوَم من حجارة تُدفن الجثث في عمق متر واحد او اكثر لا ينزل معها الى القبر شيء . لا حُلي ولا آنية ولا نقود . مدفن اسيني قمران كحياته كانت فقيرة وزاهدة .

حسب عبارات كتاب التهذيب كان قد طلب قبوله في الشيعة وكانوا يسمونها « العهد » :« لطلب الله لعمل ما هو صالح ومستقيم امامه كما امر بذلك بواسطة موسى والانبياء. عبيده. لكي احب كل ما اختاره وابغض كل ما رذله ولكي ابتعد عن الشر واتمسك بكل الاعمال الصالحة ولممارسة الحقيقة والعدالة والحق في البلاد ولكي لا اعود امشي في عناد قلب مجرم وبعينين مملوءتين دنساً وانا اعمل كل شر . ثم لكي آتي بالذين يقدمون انفسهم لحفظ شرائع الله الى دخول عهد الحب الذي لا يتزعزع ولكي نكون متحدين بموجب مقاصد الله ونمشي امامه في الكمال ممتثلين لكل ما أوحى به فيما يختص بازمنة شهاداتهم المحددة ولمحبة كل ابناء النور كلًّا منهم بحسب النصيب المذخر له في نيّات الله ولبغض كل ابناء الظلمات كلٌ حسب وزره بموجب انتقام الله .»

( برّوز ص ٤٢٤ بدء الدرج )

اذن طالبُ نوع حياة قمران كان مبدئياً راغباً في حفظ شريعة موسى حقاً وتماماً وتعاليم الانبياء التي تكملها ولم يكن يفكر بانه يصبح 'مشاقاً لكن عضواً لاسرائيل الحقيقي . كان يعتقد بانه يدخل شرعاً في العهد ويكون ابن النور ويفترق من جماعة ابناء الظلمات اللعينة . هو مدعوٌ الى حبٍّ سامٍ للصلاح ولارادة الله والى محبة شديدة لرفقائه في هذا القصد الشريف والى بغض شديد ايضاً للشرّ وفساد الاخلاق ولكل ابناء الظلمات وهذا البغض لا 'يقتصر للامم لكن ايضاً لعدد كبير من الاخوة بالنسل الملعونين لمخالفتهم الاثيمة للشريعة . العهد الذي كان يدخله الراغب كان يحفظه بتدقيق . لقد كان هذا الذهاب الى قمران بكل معنى الكلمة تجنداً .

« كل الذين قدموا انفسهم الى حقيقته يأتون بمعارفهم وقوتهم واموالهم الى جماعة الله حتى ينقّوا معارفهم في حقيقة وصايا الله ويدبروا قوتهم حسب كمال طرقه وحتى يتصرفوا باموالهم حسب مقاصده العادلة » (ص ٤٢٤) .

يحكم في قبول الراغب « مَن وُضع في رأس « الكثيرين » ( وقد يكون : اعضاء الجماعة المهذّبين ) والناظر ( وقد يكون عين هذا الرئيس او غيره ) كان يقبله « لطلب » يدوم سنة على ما يظهر — اذا حكم بقبوله — وفي مدة هذه السنة كان يفسر له قوانين الجماعة ( ص ٤٣٣ ) .

يتبع زمن الطلب الابتداء ويدوم سنتين . في ختام السنة الاولى « اموال المبتدئ واجرته كانت توضع (كوديعة) عند وكيل الاموال » دون ان توضع بعد في مُقتنى الجماعة .

في نهاية السنة الثانية هذه الاموال كانت تُضمّ الى مُقتنى الدير فيمكن الراغب الدخول الى المشرب المقدس : وهل يكون ذلك الّا الاكل مع الجماعة وكان له صفة دينية . وهكذا يضحي من الجماعة عضواً حقيقياً فيها مُهذباً ونوعاً ما نادراً النذور الرهبانية فيضحي واحداً في عدد « الربيم » والمترجمون يسمونهم تارةً « المديدون » واخرى « الكبار » والتسميتان غير صحيحتين . وبصفته هذه — الا اذا تعرض لقصاص — يحقّ له الاشتراك في الشورى ويكون له صوت في المجامع .

في كل من مراحل طلبه كانت شورى الجماعة قد بتّت في امره فاذا قُبل نهائياً يُقيّد اسمه في محل ثابت حسب تهذيبه وتصرّفه . لكن هذا نظام التصدرات كان يمكن النظر فيه كل سنة لتقديم او تأخير الاعضاء حسب تصرّفهم .

بعقوبات مختلفة كانت تُقاصص المخالفات . موقف مخالف للحشمة كان يجلب لصاحبه ستة شهور حرمان من الطعام المقدس والحرمان نفسه مدة شهر فقط لمن يبصق او ينام او يقبقه في مدة الاجتماع . عقوبات مشابهة كانت تُفرض على الكاذب والمفتري والمنتقم والمتفوه باقوال باطلة . اعلان كاذب بالاموال الشخصية كان يُعاقب بسنة حرم وتنقيص ربع من الطعام ولربما تقديم ربع الطعام القانوني فقط . الحرم النهائي الطرد كان عقاب الجرائم الكبيرة مثلاً التلفظ باسم يهوى وبلعنات وبالقدح على الجماعة وبالتذمر ضد تأسيس العهد .

جزء عظيم من الحياة اليومية كان مخصصاً للصلاة ولدرس الكتب المقدسة كانوا يصلون عند شروق الشمس وعند غيابها قبل الاكل وبعده ومدة ثلث الليل وهذا يبدأ بعد طعام المساء . كانوا ينصبّون على قراءة الكتب المقدسة والتفتيش عن الصلاح وتمجيد الله معاً .

من المحتمل ان بعضهم كانوا يخصّصون دائماً او احياناً بدرس الشريعة وحدها ، بينما كان الرؤساء مهتمين بوظيفتهم والمرضى والعُجز مضطرّين الى البقاء

في الدير او في اكواخهم . اما الآخرون الرجال الاقوياء فكانوا ينطلقون الى اشغالهم .

كانوا بعيدين عن المحالّ الآهلة وكانوا مصممين على تقليل معاطاتهم مع كل نوع من المنافقين اكثر ما يمكن . ولهذه الاسباب كان اهالي قمران مضطرين الى ان يقدموا لهم كل ما هو ضروري لمعيشتهم بتكبد تعب شديد لمرورهم في وادي الاردن . كان في الدير من الاشغال ما يكفي للجميع : مزارع عين فشكا وربما ايضاً غير قطع من الارض . ثم الاهتمام بالحيوانات الداجنة صيانة الابنية والقنوات هي اشغال يلزمها رجال كثيرون . كان عندهم اشغال مختلفة في شتى المعامل والخدم : في الخبزة والفاخورة والمغسل والمصبغة هذا ما عدا المكتب . يوسيف يأتي ايضاً بذكر السخرة :« بعد (طلوع الشمس والصلاة) يرسل الرؤساء كلًّا منهم ليشتغل بالمهنة التي يعرفها فيبقون الى الساعة الخامسة يشتغلون بكل قواهم» . وهكذا ايضاً بعد الظهر .

كان للاطعمة صفة شيء مقدس كما نرى ذلك في اوامر «اثر دمشق» فكانوا يهيئونه باهتمام خارق العادة فيما يختص بالطهارة الشرعية . تهيئة الاطعمة تهيئة بعضها على الاقل كانت تعدّ امتيازاً لا يمنح للمبتدئين ولا للذين فُرض عليهم عقاب .

ما كانوا يبدأون بتهيئة الطعام الا بعد الاغتسال لا غسل اليدين والوجه فقط لكن بعد حمّام كامل . هذا ما يفترضه جليًّا كتاب التهذيب فانه بخصوص الراغبين المرفوضين يقول :« لا يدخلوا في الماء لكي يمسوا طعام الرجال القديسين» . اذا اردنا ان نصغي الى ما يقوله يوسيف — ولو كان دائماً متهماً بطلب تصوّرات إعلانية — نحضر مشهداً معجباً للغاية :« يجتمعون من جديد في محلّ واحد وهم يحتزمون بعصائب من كتان ويغسلون كل جسدهم بالماء البارد وبعد هذا التطهير يجتمعون في حجرة خصوصية حيث لا يحق الدخول لمن ليس من الجماعة وهم لا يدخلون الى هذه المائدة الا اطهاراً مثلما في دار مقدسة ثم يجلس كل واحد منهم في محله فيقدم له الخباز خبزة ويضع الطباخ امامه صحناً فيه مأكول واحد فيتلو الكاهن صلاة قبل الاكل ولا يجوز لاحد ان يذوقه قبل نهايتها وبعد الاكل يصلي من جديد . (حرب اليهود ٢:٧ نمرة ٣١:١٩٩)

كتاب التهذيب لا يدلّنا ابداً على ما كان يجري في قاعة قمران الكبرى لكن في نص منه يكلمنا عن وجود غيرهم من جماعات العهد يقول ان جماعات من هذا النوع يجب ان تتمّ على الاقل عشرة اعضاء. احدهم كاهن ويجب ان ينصب كل واحد منهم بدوره على درس الشريعة ويلاحظ بان الطعام يلزم ان تسبقه بركة الكاهن: «عندما يهيئون المائدة للاكل او الخمر للشرب يمد الكاهن يده ليبارك باكورة الخبز والخمر» اللفظة المترجمة هنا بخمر ليست لفظة «يايين» العبرانية وهي ادق لكن لفظة «تيروش» وهي السُلاف او الخمر الحلو او غير مشروب حلو. من الممكن ان الاسينيين كانوا يمتنعون تقشفاً عن شرب الخمر الحقيقي ويعوضون عنه بمشروب آخر غير مُسكر.

فيلون وبلين يثبتان تبتّل الاسينيين ويطنبان فيها وبالاخص بلين القديم وقد فتنه هذا النوع من الحياة وكما رأينا انه يعطي شهادة عن اناس لا نقدر بالحقيقة ان نعيّن لهم مقرّاً الا قمران.

لكن ليس في كتاب التهذيب ولا في غيره سطر واحد يجعل التبتّل واجباً وقد يكون تقليداً غير مدوّن يحرّض على حفظه الناسك الذي عند دخوله الى الدير يختار الطريق الضيّقة.

على الاقل في هذا القانون لا يُذكر قط نساء او اولاد فهذا بنوع مباشر تحريم تأسيس عائلة او ابقائها وهو بالحياة التي كان يوجبها والخضوع الذي كان يفرضه ما كان يبقي بالحقيقة لا الحرية الكافية ولا اسباب المعيشة الضرورية لحياة زوجية وللاهتمام باولاد.

لذلك رغماً عن وجود هياكل عظام نساء في مدافن المقبرة نقدر ان نتأكد بان سكان قمران كلهم او عدداً كبيراً منهم كانوا محافظين على التبتّل. كتب يوسيف ما كتبه لقرّاء وثنيين واهتمّ بعرض افكار اخوته اليهود بنوع يناسب قرّاءه. لذلك نراه يفسّر لهم هذا التبتّل مبرّراً اياه ببواعث نفور من الزواج وهي بواعث مبتذلة ومكروهة اذ يقول عنهم: «يخافون من فجور النساء وهم متأكدون بانه ليس فيهن واحدة تحفظ الوفاء لزوج واحد» وهذا اختراع مضحك لا يُصدّق. اذا لم يكن امرأة للاسيني في قمران فذلك لانه لم يكن له وقت فيه يقدر ان يعيش معها ولا فلس لتدبير نفقات البيت. يمكن

ان يكون هناك غير اسباب. بعض رسوم القانون تدلّ على شعور حشمة وحياء حيّ . وهذا ما يحملنا على الاعتقاد بتقدّم فضيلة البتولية عندهم . هؤلاء الزهّاد المتبتلون ليتمنوا بكمال شريعة موسى ولكي يبتوا بنوع اكمل واكثر ثباتاً في حالة الطهارة الشرعية يكونون قد شعروا ايضاً بان تزهّداً كهذا هو غاية طهارة داخلية اعمق .

لم تكن الحياة الاسينيّة في قمران وحدها ولو انها تظهر في قمران متميّزة بنجاحها لكنّ تباعها كانوا موجودين ايضاً في غيرها وليست قمران نقطة انطلاقها . فان مساحة خرائبها واسباب المعيشة فيها لا تمكننا من فرض وجود اكثر من اربعمئة راهب فيها والحال ان يوسيف وفيلون يتوافقان بالقول بان عدد الاسينيين هو اربعة آلاف ويوسيف الذي كان مطّلعاً على امرهم اكثر من بلين لم يكن يحصر انتشارهم الجيوغرافي في نواحي البحر المائت فقط فانه يقول : « انهم ليسوا مجتمعين في مدينة واحدة لكنهم يعيشون متفرقين في مدن عديدة » لكن فيلون يقول بانهم كانوا يفضلون المحالّ القليلة السكان لكونها اجدر بالاختلاء .

من جهة اخرى يوسيف الذي وصف باعجاب حياة الاسينيين المتبتلين يعرّفنا بانهم لم يكونوا كلهم كذلك وأن جزءاً منهم كان يعيش في حالة الزواج .

ان ما عندنا من الآثار يثبت هذه المعلومات . رأينا بان كتاب التهذيب عينه وهو خاصّ برهبان قمران حافظي القانون بتدقيق يذكر وجود جماعات عديدة يترأسها كهنة وعدد اعضائها عشرة على الاقل .

كتاب قوانين آخر كانوا يقرأونه في قمران ولو انه كان يختص بغير امكنة هو « اثر دمشق » هذا الكتاب — وقد يكون اقدم من « كتاب التهذيب » — يطلعنا على شيء قليل بخصوص اصول هذه المنظّمة . لا يمكن انكار وحدة العقيدة ووحدة الالهام بين قوانين كتاب دمشق وقوانين قمران لكن حياة العهد في كتاب دمشق لا تقوم بحفظ قوانين رهبانية حقيقية .

في الصفحات الاولى نشهد رواية حزب كهنة يدّعون الانتماء الى رئيس الكهنة صادوق معاصر سليمان ومعهم لاويّون يتبعهم عدد من العلمانيين وكانوا باختلاف شديد مع رئاسات اسرائيل الروحية؛ لذلك تركوا ارض يهوذا ليذهبوا

ويسكنوا في ارض وثنية في بلاد الشام . لا نعرف محل سكناهم أفي حوران او في شمال ما وراء الاردن وكانوا يعيشون في محال يسمونها مراكز. في هذه الظروف كانوا يتّخذون لنفسهم نصّاً من عاموس وهو لعنة موجهة جليًا الى وثنيين غير عابئين بمنطق : « بل حملتم خيمة مُولككم وكِيوان تماثيلكم كوكبَ الهكم الذي صنعتموه لكم فسأجليكم الى ما وراء دمشق ». (عاموس ٥ : ٢٦ – ٢٧)

هذه المراكز كانت تذكّر محلات العبرانيين في بريّة سينا فان الشعب الذي يسكن فيها هو كأجداده في ايام موسى المستأمَن الوحيد للعهد لعهد جديد لان الرؤساء الروحيين الرسميين قد اصبحوا « امّة بليعال» (بروز ص ٤٠٥) .

كما في قمران اجتمع هؤلاء ايضاً لمعرفة العدل ولفهم اعمال الله وطلبه بقلب صادق في هذه المحلات اعضاء العهد يعيشون جماعات في كل منها عشرة على الاقل وفيها على الاقل كاهن واحد . يرئس هذه الجماعات رئيسان كبيران احدهما كاهن « مفتش » ( مُبقد ) والثاني قيّم المحلات » (مبقّر) .

قوانين الطهارة الشرعية وحفظ السبت كانت – لربما مُزايدةً نحو الآخرين – مشدَّدة حتى الجنون. فهي تأمر بفصد الاسماك وهي حيّة كالحيوانات الحارّة الدم وان لا يؤخذ الجراد للشواء. ولا يوضع في الماء للطبخ الا حيًا . وكانت تحرم نقل شيء مهما صغر يوم سبت ولو كان كيس طيب معلّق بالثياب وكان محرّماً حمل الرضيع بالذراعين . كان محرّماً ايضاً اخراج حيوان سقط في بئر او صهريج ومحرّماً كذلك اخراج انسان لتخليصه اذا لم يكن انقاذه ممكناً دون استعمال حبل او سلّم .

اعضاء العهد العائشون في هذه المحلات لم يكونوا مُجبَرين على التخلّي عن اموالهم لكن فقط كانوا ملزمين بدفع ضريبة توازي اجرة يومي شغل كل شهر للصندوق العمومي .

كان الزواج مُباحاً بشرط الخضوع في حالته لقوانين اولاً لشريعة موسى وثانياً للتي تنتج من تأويل الشيعة التي هو منها فانها كانت تمنع المُضادّة ولربما الطلاق ايضاً وتحرّم زواج العمّ بابنة اخيه او اخته مع ان سفر الاحبار لا يحتوي هذا التحريم .

لكن الظروف التي كانت قد أوجبت هذا الجلاء الى بلاد دمشق لم تلبث ان تغيرت، حينئذ تمكّنت المحلات ان تقيم في يهوذا او في الجليل بينما مركز قران الرهباني كان يتثبّت في نواحي البحر المائت وهكذا في بدء تاريخنا في زمن محدّد كان قد توصل عدد الاعضاء الى اربعة آلاف وهو عدد ذو قدر ولو لم يكن كبيراً . وكان لا بدّ من وجود محيط حول هذه الاخويات الاسينية مختلف الآراء من نافر او محبّذ .

يظهر ان هذه الروح الاسينية قد بلغت الى المهاجرين انفسهم على الاقل الى مدينة الاسكندرية حيث تعارف فيلون مع « التيرابوت » وحسب وصفه لهم نرى انهم كانوا يعيشون عيشة قريبة جداً من قوانين قران وفي حالة التبتّل . وكان هناك ايضاً جمعية نسائية . ثم ان وجود قطع من الترجمة السبعينية في مغاور برّية يهوذا قد يكون دليلاً على علاقة بين الاسينيين و« التيرابوت » .

في كلامنا عن « أثر دمشق » ذكرنا بأننا فيه نجد معلومات عن اصل الاسينيين . نعود الآن الى المسألة لنفتش على ما نقدر ان نميّزه من تاريخهم . عندنا ايضاً كتاب آخر يعطينا شيئاً من هذا التاريخ بنوع أجلى وبجهيّة . عن هذا الكتاب كتب كثيرون وهو « تأويل حبقوق » . كما حدث لمفسّرين كثيرين خياليين لسفر الرؤيا حدث لهم فانهم بسهولة تصوروا وجود شرلمان ومحمد وهتلر والقنبلة الذرية فيه . كذا الاسينيون كانوا قد فسروا الانبياء بموجب ماضي شيعتهم ورغباتها لكنهم لسوء الحظ تجنّبوا قصداً ذكر اسم اي شخص كان . وعلاوة على ذلك فان عباراتهم ليست دائماً دون اشتباه والحلال تزيد في الارتباك .

يطول بنا المقال اذا اردنا ان نعدّد كل التخمينات التي بُنيت على هذا الأساس وخصوصاً اذا باشرنا مباحثةً مستقصية في هذا الموضوع . نكتفي بتعيين سريع للنقاط الثابتة والحلول المحتملة .

يخبرنا يوسيف (القدميات اليهودية ١١٣ : فصل ٥ و ١٧١ ) «انه في ايام يوناثان وهو ثاني المكابيين كان يوجد بين اليهود ثلاث شيع كان لكل منها اعتقاد مختلف بخصوص الامور البشرية وهي شيعة الفريسيين وشيعة الصدوقيين والثالثة شيعة الاسينيين ». يمكننا قبول هذه المعلومات وعندنا اسباب صوابية للظن بانه

في الازمنة التي سبقت كانت هذه الشيع موجودة فقط كحالة اتجاهية او كتجمعات غير منظمة .

ان اضطهاد انطيوكس الرابع ايفانيوس سنة ١٦٧ هيّج مقاومة الشعب اليهودي ومتاتياس الكاهن — لم يكن من ذرية صادوق — وطّد هذه المقاومة وترك لابنائه مهمة ادارتها . في اول هذه المقاومة وهو زمن البأس والشجاعة عاضدته كثيرًا او قليلًا جماعة من رجال متعلّقين بنوع خصوصي بالشريعة وهم « الحسيديون » (١ مكابيون ٢:٤٢) لكن هذه الجماعة لم تتعامل بعد ذلك معه كحليفة فانها اسرعت الى قبول السلم دونه مع الملك ديمتريوس مغرورين لوجود كاهن من نسل هارون معه «الكيم» (١ مكا ٧:١٣-١٤) ولا يظهر انهم رغمًا عن انخداعهم وبعد هذا العمل القليل الفطنة عادوا الى المكابيين واتحدوا معهم بصراحة للمقاومة .

هؤلاء الحسيديون بغيرتهم على الشريعة يسبقون نوعاً ما الفريسيين ولا يستحيل ان يكون بعضهم قد لعب دورًا في بروز شيعة الفريسيين . لكن لم يكن الاسينيون اقلّ غيرة على المراسيم الموسوية ويمكن ان يكونوا هم ورثة الحركة الحسيدية خصوصاً بقلة اتفاقهم مع المكابيين .

كما يصف لنا معيشتهم كتاب دمشق نرى فيهم اولًا حزبًا كهنوتيًا يتركب من عدد وافر من الكهنة واللاويين وهو خاضع لرؤساء من نسل هارون واحترامهم لموسى عميق لكنهم بعده يضعون في درجة ممتازة رئيس الكهنة صادوق فبرأيهم انه حتى مجيئه كانت الشريعة مهملة جدًا حتى من جهة داود لكن جهل هذا يعذره لمخالفتها بتعدد زوجاته .

في الازمنة التابعة دخل الشرّ من جديد وشاع « لكن الله اخرج من هارون رجالًا ذوي فهم ومن اسرائيل رجالًا حكماء » وهم رجال «العهد الجديد» في برية دمشق وهم وحدهم الصالحون الحقيقيون .

ضد اخصامهم ولا بد ان هؤلاء — حسب روح كتاب دمشق — هم المكابيون او خلفاؤهم السلالة الاشمونية عندهم شكوات شديدة عديدة منها : انهم يجيزون تعدد الزوجات ضد كلام التكوين : «خلقهما ذكرًا وانثى » ثم : « سيدخلون السفينة اثنين اثنين » .

. وانهم يأذنون بما لا يجوز مثلاً : بزواج ابنة الاخ او الاخت مع اخي الاب ثم انهم غيّروا حساب ايام السنة الخدمي .

لهذه الملاومات النظرية نظنّ انه يوجد اسباب عدم رضى احق وأهمّ عند كهنة قد يكونون من ذرية صادوق وهم الزعماء. فان السلالة الاشمونية الكهنوتية والملوكية معاً كانت حائزة على منصب رئيس الكهنة الذي كان خاصاً بذرّية صادوق منذ اجيال .

في اول الامر كانت تدفع الاسينيين اسباب متباينة وغيرة حقيقية على الشريعة وغيظ كامن كانوا يشعرون او لا يشعرون به . وجاء يوم — لربما بعد خصام مع الكهنة الرسميّين — فيه اختاروا المنفى ووطّدوه باتخاذ نوع من المعيشة نجاهم ان لم يكن عن كل نفوذ فعلى الاقل عن مقدّم ملعب الحياة . لكن الحزب كان يعتقد اعتقاداً ثابتاً بانه مستأمن عهد جديد مدعو الى جمع شتات اسرائيل الحقيقي لقتال جازم وانتصار المسيح العتيد. هذا المسيح هو الذي يعتقد به الاسينيون وهو مسيح كهنوتي مسيح هارون واسرائيل ويفترق احياناً الى شخصين مسيح هارون وهو زعيم ديني ومسيح اسرائيل وهو علماني وفي الدرجة الثانية وهم في اثنا. ذلك يُرعدون عبثاً ضد بقيّة الناس .

شخصان يعطي اسمها كتاب دمشق وتأويل حبقوق هما زعيما هذا الانشقاق المكدّر : « ربّ العدالة » و « الكاهن المنافق » .

لا بدّ ان « رب العدالة » كان شخصاً قويًا وقد حوّل — لخدمة مآربه حركة مرتبكة وقليلة الانتظام ناشئة الى منظمة عاملة وثابتة . كتاب دمشق يعلن بان الله ارسله « ليقود (ذويه) في طريق تكون حسب قلبه » (D D. I, Burrows, p. 339) لكنه يتكلم عن مدة العشرين سنة التي سبقت دخوله الى العمل . اذن لا يظهر بأنه هو المؤسس لكن المنظّم والزعيم . كتاب تأويل حبقوق ينسب اليه أسمى مواهب المعرفة ويقول « بانه كان كاهناً وضع الله في قلبه الحكمة ليفسر اقوال خدامه الانبيا. » ( حبقوق ١:٥ ) وان الله كان قد « اوحى اليه بكل اسرار اقوال الانبيا. خدامه » ( حبقوق ٢:٢ ) فكان اذن واجباً قبول رسالته وكبيرة كانت خطيئة اخصامه برفضها : « هم الذين تصرّفوا تصرّف خونة بالاتفاق مع رجل الكذب لانهم لم يُبالوا بكلام رب العدالة

الخارجة من فم الله » (حبقوق ١:٥) ثم ينتقل المؤوّل الى آية شهيرة منها بعد ذلك انتج القديس بولس نتيجة مختلفة جدًا فيكتب : « لكن البارّ سوف يحيا من ايمانه وهذا يعني كل الذين يمارسون الشريعة في آل يهوذا وسوف ينقذهم الله من الحكم عليهم من اجل محنهم وايمانهم بربّ العدالة » (حبقوق ٢:٤)

لا يمكن الشك بان تأثير هذا الشخص كان عظيماً في المذهب الاسيني كله وان اليه تعود بالاخصّ رسوم المحلات وعظم الوثبة الادبية التي تنعش في عدة صفحات من الكتب التي وصلت الينا وقد جعلت ممكناً نجاح الحياة الزهدية في قمران .

ازاءه يقف « الكاهن المنافق » ولا بد انه هو « رجل الكذب». السيد ملار بروز يقدّمه الى قرائه قائلاً :« وها الآن دخول الحانث » هوذا هذا الدخول الى المسرح بمناسبة آية « النبي » ٢:٦ : « الويل لمن يكدّس ما ليس له » وهذا يعني « الكاهن المنافق وقد دُعي اولاً حسب الحقيقة لكن عندما بدأ يملك في اسرائيل انتفخ قلبه كبرياء فترك الله وخان وصاياه من سبب الغنى. نهب وكدّس غنى رجال الضولة الذين كانوا يتمردون على الله واخذ غنى الشعوب جامعاً في نفسه الخطأ والجور » (بروز ص ١٧٩) ونص آخر يظهره لنا مضطهداً لربّ العدالة ثم نراه هو ايضاً وقد سُلِّم الى اعدائه وعوقب : « هــذا يعني الكاهن المنافق الــذي من جرّاء الشر الذي سبّبه لرب العدالة ولرجال حزبه سلّمه الله الى أيدي اعدائه ضارباً اياه بعقاب مهلك في مرارة نفسه لانه تصرف بنفاق ضد مختاره » ( ٢ : ٨ ).

و« واعظ الكذب » وقد يكون الكاهن المنافق بعينه يُعاب لانه دفع اناساً عديدين الى بناء مدينة « خداعة » . هذا صدى ملام عنيف يوجهه عدة مرار كتاب دمشق ضدّ « بنأني اسوار الــذين بنوا السور وطلوه بالملاط » (كتاب دمشق ٧ و٩).

كاهن مالكٌ على اسرائيل قد اغتنى من اموال الشعوب واموال اشخاص تمرّدوا هم ايضاً على الله ويظهر انه كان مولعاً بالبناء : هــذه خطوط صورة خصم رب العدالة الكاهن المنافق مرسومة جداً . يبدو جلياً بانه كان قد

توصل الى الإتكا. عليه وعلى ذويه لكن هو ايضاً كان قد سُلّم الى اعدائه و ... بعقاب مهلك .

« بيت ابشالوم » — اسم لُغزي — بقي مدة على حياد مجرم :« يعني هذا بيت ابشالوم ورجال حزبه الذين حفظوا السكوت ازاء عقاب رب العدالة وذويه ولم يعضدوه ضد رجل الكذب الذي نبذ الشريعة ضمن جميتهم ».

هوذا اخيرًا نصّ كان موضوع تأويلين مختلفين : « هـذا يعني الكاهن المنافق الذي يضطهد رب العدالة لكي يخزيه في حدّة غضبه راغباً في نفيه ( في غير موضع : في ابتلاعه ) . وفي وقت عيد بطالتهم يوم التكفير ظهر لهم ليخزيهم ويُرجحهم يوم الصوم سبت بطالتهم » :

ذوبون سومر في محاولته لوجود مشابه بين رب العدالة ويسوع المسيح كان يرى في هذه العبارات ذكر مكيدة كادها ضد رب العدالة الكاهن المنافق توصلت الى قصد قتله والى تنفيذه . لكن رب العدالة أخذ ثأره اذ قام من الموت وظهر لاعدائه بنوع ناقم في يوم التكفير عينه وهذا الظهور ليس الا نكبة دخول بومباي الى الهيكل .

هذا التأويل يقتضي رجوع رب العدالة الى الحياة وليس في النص ما يدل على ذلك ويقتضي ايضاً قبول وقوع ما يحدث احياناً في الانشاء. عند الساميين بان الكاتب بروره من جملة الى التابعة ودون ان ينتبه الى ذلك بنوع جليّ غيّر الفاعل :« ... الكاهن المنافق الذي يضطهد ... ظهر لهم ليخزيهم ... » ( فانه يعطي لفاعل « ظهر » غير فاعل « اضطهد »).

انه لصوابيّ اكثر عدم تطلّب تغير الفاعل هذا وبهذا النوع عندنا تأويل عرضه م. س. تلمون ونشره في « بيبليكا » (Biblica) سنة ١٩٥١ وهو مقبول اليوم عموماً : الذي ظهر هو الكاهن المنافق وذلك حيث كان حينئذ مركز الاسينيين الاهمّ وفي يوم اجتماعهم لعيد التكفير بحسب حسابهم وظهر لهم «ليرجحهم » بدعوته اياهم الى ترك ممارساتهم الخصوصية . بوجب هذا التأويل تكون هذه مسألة تفتيش قام به رئيس الكهنة بذاته او باسمه عند اناس رآه مناسباً . هذا ما فعلته فيما بعد سلطات اورشليم اذ ارسلوا الى شواطئ الاردن من فوّضوا اليهم ان يستفسروا عن اعمال المعمدان .

من هذه المعلومات ماذا نقدر ان نستنتج من امر جليّ او محتمل ؟

احتمل رب العدالة وذووه ما احتملوه من قبل الكاهن المنافق وهو اذ ذاك رئيس الكهنة رئيس ديانة اورشليم الرسمية وقد يكون سبب ذلك ما أبدوه من التعصب ولربما كان اضطرارهم للجلاء الى دمشق الشيء الاهمّ في اضطهادهم .

عندما كُتب « اثر دمشق » كان رب العدالة قد مات « كان قد جُمع » ( بروز ص ٤٠٨ ) ويظهر ان موته كان طبيعياً . نحو اربعين سنة فيما بعد على الاكثر كان مُفترضاً ان يحدث « ابادة رجال الحرب الذين اتبعوا رجل الكذب » : انتصار بالمسيح .

من يكون رب العدالة هذا . الى اليوم لم يعرض احد في ذلك رأياً يستحق القبول . من المحتمل جداً ان اسمه — وقد اهمل مشايعوه ذكره — ليس اسم شخص مذكور في الكتاب المقدس ولا في الكتب المحرّفة ولا في كتب يوسيف او في غيره مما وصل الينا . لقد بالغ المتحزّبون له في تعظيمه ولربما لم يكن له عند بقية اسرائيل الا مقام قليل الاهمية .

اما خصمه الكاهن المنافق فتحديد شخصيته اقلّ صعوبة كما يظهر ذلك من النصوص التي اتينا بها اعلاه . ليس لنا ان نفتش الا بين رؤساء كهنة اسرائيل الذين مارسوا ايضاً السلطة الملكية وهم السلالة الاشمونية التي بدأت بتتابع المكابيين الشهير . عندنا اسمان بارزان : الاسكندر جانّه وهو مشهود بقساوته ( ٧٦ — ١٠٣ ) وقبله بكثير المكابيّ الثاني يوناثان ( ١٤٢—١٦٠ ) ان سفر المكابيين يعرض لاعجابنا شخص يوناثان . اما الاسينيون فكانوا متمسكين بمبادئهم متعلقين بنسل صادوق الكهنوتي لذلك يمكن ان حكمهم فيه كان مخالفاً لحكم سفر المكابيين . هذا رأي الاب ج . فرماس من آباء صهيون وقد دافع عنه م . ميليك . وما يحمل الاكثر على قبوله انه الوحيد الذي يطابق ما نعرفه من صفات الكاهن المنافق حسبما يكلمنا عنها « تأويل حبقوق » اي : ابتداء لا يؤاخذ عليه ثم اغتناء لاموه عليه لوماً شديداً لكنه فقط من اموال الامم والذين تمرّدوا بشدة على الله ثم اخيراً بناء اسوار ثم أسر وموت فاجع .

لن نعرف ابداً من يُعنى «ببيت ابشالوم». وهو لا يُذكر الا بكلام وجيز.

من وراء هذا المشهد ودون علاقات متينة مع حوادث الشيعة يظهر عدو خارجيّ عابد أعلامه الحربيّة ذو بأس عظيم وطاغية « الكيتّيم » وهم بالاحرى الرومانيون لا السلوقيون .

الحميَّة التي جعلت ممكنة حياة المحلات الصعبة والجذاب المشايعين الى دير قمران تستند ولا بد على اعتقادهم الوطيد بانهم هم وحدهم « بالعهد الجديد » في « برّيّة دمشق » الصادقون الاصفيا. ورجاؤهم العظيم المنتظر تتميمه قريباً وهو انتصار العدل عند مجيء المسيحين ولا بد ان بغضهم للفاتح الروماني — ولم يكن اقل شدّةً من بغض بقية اليهود — كان يلعج غيرتهم .

لا نقدر ان نعرف بصراحة ماذا كان مقامهم في اسرائيل . نعرف انه كان لهم حظوة عند هيرودس العظيم وانهم اذ ذاك هجروا قمران مدة من الزمان . يمكن ان دسائس الكاهن المنافق ضد ربّ العدالة كانت بالخصوص رفض يوناتان او احد خلفائه قبول رسالة مُلهَم الشيعة الكبير — وهذا الرفض يظهر صوابياً — واعادة رتبة رئيس الكهنة لواحد من نسل صادوق. فالكهنة واللاويون الاسينيون كانوا مُبعدين من خدمة الهيكل لرفضهم الاختلاط بسائر الكهنة لهذا السبب ما كانت جماعتهم تشترك الا نادراً في الشعائر الدينية الرسمية . لكن ليس ما يُثبت انهم كانوا عادةً وفعلاً مضطهدين من قبل سلطات اورشليم الدينية ولا مُحتسبين كمُشاقّين مرذولين مثل السامرّيين ثم ان حياتهم المعتزلة ما كانت لتجذب جزءاً مهماً من الشعب فكانوا غير مؤذين وكان تأثيرهم ضعيفاً . ثم ألم يكن الناس امام القربا. فخورين لاسرائيل كله من فضائل حياتهم ومن تبتّلهم الارادي العجيب .

يعنّ لي ان اقابلهم — عن بُعد وفي بعض الاوجه فقط — بشيع كانت موجودة في الكنائس الصقلية من « المؤمنين — القدما. » ( الراسكولنك ) . هنا كما هناك نرى اختلاط عناصر ممكن تفسير تركيبها نفسياً : قلة ذكاء و « misonéisme » متصلبان ضد تغيرات جاءت بوقتها او على الاقل مقبولة ثم ادّعاء بالوحي متباين يزول الى ممارسات غريبة حتى الى عقائد ضالّة مع هيئة في العبادة احياناً جديرة بالاعجاب .

اما الشكوى الموجهة الى زعماء الدين في اورشليم بانهم مذنبون باتخاذهم حساباً جديداً لايام السنة وبانهم لم يحرّموا تكاثر الزوجات ولا بعض الاقترانات الزواجية ولو انها ليست محرّمة في نصوص الشريعة فكل هذا يظهر لنا الاسينيّين كأناس متعصبين على شبه الراسكولنك بخصوص حركات في الخدم الدينية او لفظ اسم يسوع . مثل هؤلاء الراسكولنك او بعضهم على الاقل كانوا يشدّدون في المشاكل الصغيرة بخصوص المآكل والتطهير وحفظ يوم السبت وهذا يدلّ على نفسيّة ناقصة الذكاء .

لكن عند هؤلاء المتحمّسين مواقف فاخرة بها يظهرون متفوّقين على منافسيهم الصدوقيين والفريسيين الاكثر نشاطاً وحظاً .

ليس عندنا عن الصدوقيين معلومات تامة وما نعرفه عنهم ليس مما يرفع شأنهم . من الكتاب المقدس لا يعترفون الا بالتوراة وبما انهم يتّمون ماضياً ليس عنهم بعيداً يرفضون قبول كل ما جهلته التقاليد القديمة وبالاخص قيامة الموتى والمجازاة في الحياة الاخرى . هذا الانكار الصريح كان يصلّب ما لم يكن في ايام داود الا جهلاً حسّياً بخصوص ما بعد الحياة لا يرفض امكان امرٍ ما لم يرَ بعدُ النظام الإلهي ان يوحي به . هذا الضلال الجوهري فيما يخصّ مصير الانسان بعد الموت هو الذي يحملنا على اعتبار عقيدة الصدوقيين ومبادئهم العملية ناقصة مادّية . سفر يشوع بن سيراخ الذي كان يميل الى هذا الاتجاه يُظهر لنا بانه لم يكن مخالفاً لإحساس ديني عميق وبالحقيقة دون عظيم همّة . لكننا نعرف بان الصدوقيين كانوا متشدّدين في حفظ الشريعة وتأويلها . كانت قوّتهم بالعائلات الكهنوتية الكبيرة التي منها كان عظيم الكهنة في عهد المسيح . يكلّمنا الانجيل بأسطر قليلة عن الصدوقيين لا لمدحهم . لكنّ تآليف اليهود التابعة تبالغ في ذمّهم تعصّباً .

نعرف الفريسيّين معرفة أوفى . هم اولاً علمانيون وهم غيورون على معرفة الشريعة وحفظها ورغماً عن احتقارهم لغيرهم من الاسرائيليين كان لهم هيبة ونفوذ اعظم . ان حزبهم وحده بقي حياً بعد نكبة سنة السبعين وسنة ١٣٥ بينما اضمحل حزب الصدوقيين بعد انقطاع الخدم الدينية في الهيكل وحزب

الاسينيين لم يبقَ له اثر. ثم خلف الرباني الكاهنَ والحزبُ الفريسي صار واحداً مع الشعب الاسرائيلي عينه .

كان موقف البدعة الفريسيَّة شديداً ضد الصدوقيين وكانت متمسكة بعقيدة المجازاة في الحياة التيدة ومن ثم بقيامة الاجساد . ومجموعتها للكتب المقدسة هي التي تثبّتت في الكتاب المقدس « المأثور » . لكن على مثال عزرا الذي تتلمذت له كان اهتمامها محصوراً في الشريعة في موسى وقد عُنيت بنوع خصوصيّ بحل المشاكل العملية الذمية . غاية الفريسيين في قراءتهم الانبياء والاسفار الحكمية هي خصوصاً ان يجدوا فيها ما يساعدهم على تأويل موسى. هذا ما انتج فيها هزالاً دينياً مؤسفاً اذ جعلت اليهودي بيلاجياً قبل ان يكون البيلاجيون عندنا مثالاً من الفريسيين في الانجيل : انه يقف مفتخراً بصلاحه ناسياً ما هي بالحقيقة مرتبته ازاء خالقه .

اما الاسينيون الذين تعرفنا اليهم — وهم خصوصاً حزب كهنوتي — مع انهم كانوا — ربما لمزايدتهم للفريسيين — اكثر تعصّباً منهم للتدقيق في حفظ الشريعة. تراهم يقرأون باهتمام اعظم كتب الانبيا . يشهد بذلك الدرج الاول مما ورثناه منهم. انه كان سفر اشعيا . وفي البرية تبعوا موسى لكنهم معه وجدوا ايضاً من جديد ايليا واليشاع وابناء الانبياء المحيطين بهم . بهذا الفكر اتخذوا لهم شعاراً وضعوه في الصفحة الاولى من كتابَي قوانينهم بهذه العبارة : « طَلَبُ الله » . لكن في هذا الطلب كان تُعيق مشيهم عوائق عديدة لم يكن ليتغلّب عليها الا الانجيل . كانت الشريعة لهم استاذاً قاسياً مخيفاً لا يعرفون كيف التخلّصُ منه. وما هو أتعس انهم مع محبة الله ومحبة القريب (والقريب ليس الا الاخوة بالعهد) كانوا يتعلمون بغضاً شديداً لابناء الظلام لا فقط لاخطائهم وأضاليلهم لكن ايضاً لهم شخصياً .

زهد قمران لا يخلو من النقص لكنه مع ذلك امر عظيم لما كان يتطلبه من الخضوع للرؤساء والمحبة الاخوية والثبات في الصلاة والشغل دون غرض شخصي .

الارشادات العديدة والاناشيد تشهد لهم بسلوك سام جداً ومحياة داخلية حقيقيّة . هوذا مثلاً جزءاً من نشيد ينتهي به كتاب التهذيب :

يجب ان لا يُعجب الانسان الا بارادة الله .
وان يفرح لكل كلام يخرج من فمه .
وان لا يشتهي الا ما امر به الله .
لكن ان يتأمل دائمًا بشرائعه .
في كل ساعة تُقبل فليبارك خالقه .
في ايّ حال وُجد فليبارك عدالته .
عندما ابدأ بتقديم رجليّ ويديّ
ابارك اسمه .
عندما ابدأ بالخروج او الدخول .
عندما اجلس او اقوم .
وعندما اكون مُستلقيًا على مضجعي أعظِمه .
أباركه بتقدمة شفتيّ .
اكثر مما بالذبائح التي يقدّمها البشر .
لن اردّ لاحد جزاء الشرّ .
سألاحق كل انسان بالخير .
فلله الحق بمحاكمة كل انسان حيّ .
لا ينقصه الاعتراف الوضيع بضعف الانسان وبالخطيئة وبالرجاء في عدل الله
لنيل الشفاء منها :
لكني من عدد البشرية الخاطئة .
من جماعة الضلال الجسدي .
مآثمي وهفواتي وخطيئتي .
كذلك إثم قلبي المجرم .
تختص بالدود وبالذين يمشون في الظلمات .
اما انا فاذا ارتججت
فحب الله الذي لا يتزعزع يكون خلاصي الى الابد .
واذا ترجرجت في خطيئة الجسد .
فمحاكمتي تكون الى الابد في عدل الله .

اذا ترك التوجع يذوب فيّ .
سوف يُنقذ نفسي من الهوّة .
وسوف يقود خُطاي في الطريق المقدسة .
برحمته قرّبني اليه .
وبعدالته سوف يطهّرني من الدنس البشري .
من خطايا ابناء الانسان .
كن مباركاً يا الهي .
انت الذي فتحت للمعرفة قلب عبدك .
الا تَقد اعماله كلها الى الصلاح .

الاسينيون كالفريسيين ينتظرون جزاء في الحياة الاخرى لكنهم لا يلحّون في الكلام عن عقيدة قيامة الاجساد الحاح الفرّيسيين . تعريفهم للانسان يقيم بين النفس والجسد ثَنوية صريحة لذلك يمكن انهم فكّروا بان السعادة هي للنفس وحدها بصحبة الملائكة . من جهة اخرى يظهر أن رجاءهم بازمنة المسيح جعلهم ينظرون الى سعادة يصلون اليها دون المرور بالموت .

انه لتَعذّر من قبل يوسيف ادّعاؤه بانهم يوجهون صلاتهم الصباح الى الشمس فمن الاكيد انهم يوجّهونها الى الإله الحقيقي . ثم ان استفادة كتاب التهذيب من موضوع الطريقيّن لا تحتوي الا ما كان مطابقاً بالتام لعقيدة التوحيد حتى اذا فرضنا فيه ( وهذا ليس مُثبتاً ) وجود تذكار للثنوية الايرانية .

عقيدتهم بخصوص العناية الإلهية تقرّر بالاختيار من الازل وبتحديد مستقبل الانسان لكنا لا نرى فيها انكاراً للحرية البشرية . علاوة على ذلك كانوا يعتقدون بالتنجيم فينسبون الى النجوم تأثيراً باتاً في حظوظ البشر .

حسابهم لايام السنة مثل حساب كتاب اليوبيل وحساب جزء من كتاب اخنوخ لم يكن الحساب القمري الرسمي في اورشليم في ايام المسيح مع اسماء الاشهر التي حفظتها اللغة العربية العصرية : نيسان وحزيران وتموز والبقية . فكان اذن حسابهم شمسياً (وقد يكون من اصله مصرياً) يتركب من اثني عشر شهراً ومن اثنين وخمسين اسبوعاً وعدد ايامه ٣٦٤ . في حسابهم — كما ينوون ان يجعلوه في عصرنا — يوم لشهر وايام الاسبوع متقابلة بنوع لا

يتغيّر . مثلاً اول يوم من السنة واول يوم من كل ثلاثة اشهر يقع دائماً في يوم الاربعاء. ثم الاعياد مثلاً عيد الفصح وعيد التكفير كانت تقع دائماً في تاريخ محدّد . اننا لا نعرف كيف كانوا ينظمون توافق هذه السنة مع تقدّم الفصول الحقيقي فانه كان ينقصها يوم .

هكذا عاش الاسينيون بجانب المجتمع على حدة متكلّفين ممارسات مجاوزة الحدّ وهم متيقّنون ولا شك بانه لا تعوزهم معرفة . الكنهم أهلٌ للاعجاب بتجرّدهم وتزهّدهم وجهودهم في طلب الله .

في سنة ٦٨ بعد ان وضع الاسينيون مخطوطاتهم حسب امكانهم في محل أمين . وبينما كان كثيرون منهم حسبما نظن يحاربون او قتلوا في صفوف المقاومين حينئذٍ ظهر الجنود الرومانيون جنود الجوقة الفريتنسية (Xª Legio Fretensis). ومدّةً من الزمان وضعوا في الخرائب مركز مراقبة . بعد ذلك جاء دور مثايعي برخوشبا ثم من بعد ذلك والى اليوم خيم فيها بدويون . هذه كانت نهاية الحياة النسكيّة اليهوديّة الحارة بعبادتها الفريدة بنوعها التي كانت قد أنعشت قمران مدة اكثر من قرن .

يظهر انه بهذا الخراب انتهت كل حياة اسينيّة منظمة لا فقط في قمران الكن ايضاً خارجاً عنها . لا بد ان ما سبّبه الموت والاستعباد من نقصان في عدد الاسينيين القليل كان كافياً للاشاة الشيعة بسرعة دون ان يبقى لها بعد ذلك بقاء بتأثيرها في منظمات دينيّة اخرى وخصوصاً في الديانة المسيحية .

آثار قمران والديانة المسيحية

منذ الجيل الثامن عشر خطر على بال بعض الباحثين ان ينسبوا اصل الانجيل الى مصادر اسينيّة . فريدريك الثاني — ولم يكن له من الجدارة في هذا الموضوع الآشي. زهيد — كتب الى دالمبر ما يلي: «كان يسوع بحصر المعنى اسينيّاً. كان متشرّباً من تعاليم الاسينيين الادبية وهي تعاليم أخذت كثيراً من زينون». هذا رأي ساذج ارتأى به رغماً عن قلة ما كان معروفاً بخصوص الاسينيّين او لسبب ذلك متطفّلون في تفسير الكتاب المقدس وتاريخ الاديان .

اكتشافات قمران فتحت باباً هنا او هناك لتصريحات قليلة التوفيق في

نشرات كبيرة ومجلات وغير تآليف مخصّصة لجميع القرّاء . ويحدث في هذا النوع من الكتابات بان لا يبالي الكاتب كفاية بالتدقيق .

ولو ان هذه التصريحات لا طائل تحتها ولست اهلاً بان نقف عندها فالامر لا يُنكر بان آثار قمران قد أتتنا بما يقدر ان يساعدنا على فهم احسن لكتب العهد الجديد واصول الديانة المسيحية . درس النصوص الاسينية والمسيحية ومقابلتها ولو انه الى الآن متردّد هو غزير الوعود . كما هو غزير بالنتائج المكتسبة . ومما لا شكّ فيه ان امكان درس كهذا هو اهمّ الفوائد التي أتانا بها اكتشاف قمران .

لنقُل حالاً بان هذا البحث صعوباته الخصوصية فيلزم اذن الدخول فيه باسلوب دون الانحراف الى جاذبيّة مقابلات بارعة لكن دون اثبات مكين او الى اقامة ابنية مموّهة على اساس مُريب .

من مشابهة بين مثل بوذي وقول من الانجيل اي مفكّر رزين يحكم بان احدهما ايّاً كان قد أخذ عن الآخر عوضاً عن الاكتفاء بالحكم بان هنالك اتفاقاً عرضاً . في تدريخ الاديان حتى في استعمال ما يُسمّى الاسلوب التشبيهي لا يجوز اعتبار ادلّة بسيطة كبرهان حقيقي فان ذلك لا تقبله محكمة ولا يرضى به نظام مباحث آخر .

نرى اذن انه يجب كلما حدث وجود مصادفة لفظية بين احد آثار قمران ونصّ من العهد الجديد ان نتحاشى تجاوز ما تعنيه فانها ليست الا دلالة مفيدة ولكنها ضعيفة على احتمال وجود استعارة او تأثير فلا يجوز اذن اعلان الشيء حالاً كأنه امر واضح لا يُردّ ولا يُعترض عليه .

يجب ايضاً التحذّر من الميل الى عدّ المسألة سهلة واعتبار اسينيّاً جوهريّاً تعبيراً او عادة او اتجاهاً دينيّاً ما لا نعرفه الا من كتابات قمران وحدها .

هنا نرى ما هي فعلاً قيمة الاكتشافات الحديثة واهميتها فانها وحدها تعطينا نصوصاً مكتوبة في فلسطين في زمان الانجيل عينه وتعطينا هكذا شيئاً مما كان الناس يقولون ويفكرون ويحيون بموجبه وهذا دون ان نقدر اكثر الاحيان البتّ فيما اذا كان ذلك شيئاً خاصّاً « بالعهد الجديد » .

والفائدة تبقى عظيمة فيما يخصّ تفسيراً لكتب العهد الجديد . الى الآن

كان ينقصنا الادلة نقصاً تاماً. نعم ان فيلون كان مُعاصراً للمسيح لكنه شاهد من يهود الاسكندرية متكلّمي اللغة اليونانية وعلاوة على ذلك انه كاتب ذاتيّ للغاية اما يوسيف فانه يكتب لقارئيه الوثنيين فيشوّه كل ما يمسّه واحياناً كثيرة بنوع مكروه . وهكذا ما كان لنا لايضاح كتب العهد الجديد وسائط الا التآليف اليهودية المتأخرة اي المشنا والتلمود والمدراشيم ومعلوم ان هذه الادلة هي مُختبة فانها كُتبت بعد سنة السبعين حيث كان خراب الهيكل بسنين عديدة ولم تكن اذ ذاك الا ذكريات عن الخدم الدينية البائدة . الحزب الصدوقي اضمحلّ حالاً بعد خراب الهيكل والحزب الاسيني أُهمل . اما الكتبة ورثة التقليد الفريسي وحده فنسوا او تناسوا كل ما في الماضي الا هذا التقليد علاوة على ذلك انهم بعقليتهم الفقهية كانوا أكثر اهتماماً بتدوين ما كان يجب ان يكون مما كان فعلاً . وهذا ما أمكن المفسرين المتقادين الى قبول ما كتبوه عند كلامهم عن العشاء السرّي من وصف رتب العشاء الفصحي اليهودي بتدقيق حتى انهم ذكروا لون «الشاروست» الشهيرة ثم في كلامهم عن نكران بطرس الرسول بحثوا عن شرعية وجود الديك الصائح في أورشليم احسن من هذا : كان في امكاننا ان نكمّل ما نعرفه عن شخصيّة الفريسي ونؤكد صحة التعديات التي اعلنها المسيح واهميّتها (الحلقانات الباطلة والتدقيقات المفرطة بخصوص حفظ السبت وحلّ المشاكل الذمّيّة بنوع غير عقلي وبقلة استقامة) . لكن في كل مجموعة النصوص التي يعطيها بلّيربك عبثاً نفتّش عما يدلّنا على ما جعل كرازة المسيح تجد نفوساً مستعدة للاصغاء. انها نفوساً تهتزّ بعدُ لوحي الانبياء. ولم تهزّ لها مشروعيّة قانطة .

الاسينيون بما تركوا لنا من آثار كتابية يزيلون جزئيًّا هذا النقصان ويجعلوننا نفكر بوجود تديّن مختلف جداً من التديّن التلمودي عند «اسرائيلي قانا او بيت صيدا الحقيقي» فانهم ازاء رسوم الكمال المسيحي المقبل الموجودة متفرقة في كتب العهد القديم وموعظة المسيح على الجبل او رسالة القديس بولس الى الرومانيين هم ولربما وحدهم همّوا بممارسة تعاليمها السامية او على الاقل كانوا شهوداً لما عاينوه من حفظها والتعمّق فيها .

كان الانبياء قد استنكروا زهو الاغنياء فبدأوا هكذا بتعظيم الفقير

المظلوم . في المزامير صدى صوت الانبياء يجد « الابيون » اي الفقير فالله هو ثروته الوحيدة . اننا لا نجد شيئاً بهذا المعنى عند ابن سيراخ وهو الصدوقيّ السابق بينما نرى في الاناجيل « الفريسيين وكانوا محبّين للمال » يهزأون بالمسيح لانه اعلن « لا تقدرون ان تخدموا الله والمال » .

( لوقا ١٦ : ١٤-١٣ )

اما يسوع فكان يقدر ان يعلن : « طوبى للفقراء » وكان الجمع يفهمه وكان هو يقدر ان يدعو يعقوب ويوحنا لترك شباكهم ومتى لترك مائدة الجباية وكانوا يطيعونه والى الشاب الغني يوجّه هذه الدعوة : « ان كنت تريد ان تكون كاملاً اذهب وبع كل شيء لك وأعطه للمساكين فيكون لك كنز في السماء وتعالَ اتبعني » . (متى ١٩ : ٢١ )

ولم يكن للشاب هذه الشجاعة لكنه كان قد فهم .( غيره بعده بثلاثة اجيال سمع هذه الدعوة : انطوان ) . اذن لتعير الفريسيين المستهزئين كان معنى لمدح الفقر حتى وللدعوة الى ترك كل شيء لخدمة الله وقد فُهم هذا المعنى بنوع اخصّ في قمران وفي محالّ اخر حيث كان الاسينيون مجتمعين على الاقل عشرة اعضاء معاً .

وبنوع طبيعيّ كان الزهد قد قاد زاهد قمران الى التبتّل الاختياري ولا بد انه محّص فيه معنى البتولية . لم تكن الازمنة اذ ذاك ازمنة الآباء الاقدمين والملك داود . كان للعهد القديم من هذا النوع سابق عظيم ارميا الذي صار ضحية لرسالته النبويّة . ( ارميا ١٦ : ١ )

يعظّم كتاب يهوديث ممارستها للبتولية في ترمّلها وقد اقتدت بها حنة النبية .
( لوقا ٢ : ٣٦ )

اسراع الكنيسة في القرون الاولى الى تكريم البتولية الا يدلّ على سوابق اخرى . انما كانت عند الاسينيين في قمران ولا شك في غيرها ايضاً من الاماكن . سرّ زواج يوسف ومريم هو من طبعه امر مُبهم لكن صعوبة فهمه هي اعظم لمن لا يرى شعب الله الا خلال ما يعرفه من قصص سفر التكوين والقوانين الرّبينية ( طالع : ريني لورانتان ) :

(Structure et Théologie de Luc I-II, Note annexe. 2 pp. 176-188)

ـ ان بولس الرسول في رسالته الى اهل غلاطية ورسالته الى اهل رومية اضطرّ الى دحض البلاجيّة قبل ان تكون وهي بلاجية مشدّدة عند اليهود وعند اليهود - المسيحيين سنّي الإهتداء. فانهم كانوا فخورين باعمالهم متيقّنين بانهم يصلون بواسطتها الى الصلاح ـ هذه الافكار الساذجة بخصوص علائق الانسان بالله وهي افكار فرّيسي الانجيل فان التعاليم اليهودية التي نجدها في التلمود خاطرت بالنفوذ الى الكنيسة.

قبل ذلك وعن بعد، نصوص من كتب الانبيا. كانت قد عارضت هذه البلاجيّة واضعةً في الله مصدر صلاح الانسان (اشعيا ٤٥: ٢٥) « بيهوى يتبرّر كل ذرية اسرائيل » (اشعيا ٥٤: ١٧) « هـذا ميراث عبيد يهوى وبرُّهم مني يقول يهوى » — (وارميا ٣١: ٣٣) « اجعل شريعتي في ضمائرهم وعلى قلوبهم اكتبها — (وحزقيال ١١: ١٩) « واعطيهم قلباً واحـداً واجعل في احشائهم روحاً جديداً وانزع من لحمهم قلب الحجر واعطيهم قلباً من لحم لكي يسلكوا في رسومي ويحفظوا احكامي ويعملوا بها. »

بين مبادئ لاهوت النعمة هذه وتعاليم القديس بولس ما كنا لاحظنا الى الآن بالحقيقة لا اتصالاً ولا نصباً متوسّطاً لذلك يأخذنا العجب عندما نصغي في قران الى نشيد الخاطئ المتغفر:

وقلتُ: من سبب خيانتي طُردتُ من عهدك ..
لكنني تذكرتُ قوة ذراعك وغزارة رحمتك.
فتأدبتُ وقتُ.
فتثبتت روحي إزاء التعاسة.
لاني اعتمدت على جودتك وعلى غزارة رحمتك.
نعم انك تسامح في الاثم.
وبعدلك تطهّر الانسان من الخطيئة (النشيد الرابع)

ألا يعطي هذا النشيد صوتاً لسلوك الخاطئة الصامت (الخاطئة التي يتكلم عنها انجيل لوقا) أو ليس ايضاً تمطيطاً لصراخ العشار الذي جعله الله اكثر برارة من الفرّيسي المدّعي بالبرارة.

الانسان في كل اعماله هو بين يدي الله وبحاجة الى عونه ليَصل الى البرارة:

كن مباركاً إلهي انت الذي تفتح للعلم قلبَ عبدك .
وطد كل اعماله في البرارة .
وامنح لابن عبدتك .
ان يقف الى الابد امامك .
لان الطريق ليست كاملة دونك .
ودون رضاك لا شيء يكون .
( النشيد الاخير من كتاب التهذيب – فرمس ص ١٥٧ )

اما انا فاعلم بان البرارة ليست للانسان .
ولا للانسان كمال الطريق .
( النشيد الرابع – في الكتاب نفسه ص ١٩١ )

بعيدٌ بعد هو تعليم بولس الوطيد لكنّ عبارات كهذه تشير الى قرب مجيئه. يعرف الاسيني بانه ليس صنع اعماله وأنّ عليه ان ينتظر من العدل الالهي التطهير والغفران والمقدرة على العمل الصالح .

هذه هي على ما تبين لي الاعمال الثلاثة الكبرى او السياق والذي دخلته الذي اندمجت فيه الإسينيّة لاعداد النفوس للانجيل : معنى الفقر والزهد واعتبار التبتّل الاختياري والتأكد بان الانسان هو في كل شيء خاضع لله ومحتاج الى عونه ليكون باراً .

من مطالعة كتاب التهذيب وتدريخ يوسيف يأخذنا العجب لرؤية الديانة اليهودية قد توصلت الى تأسيس حياة رهبانية حقيقية من النوع النسكيّ وهو فيما يختص بتقسيم الاعمال اليومية قريب جداً من حياة الترابيست . هل يمكن وجود مقابلات اكثر غرابة . والحال يظهر جلياً بان هذا التشابه ليس الا توافق عملين مستقلّين الواحد من الآخر لم يعرف كتاب التهذيب لا القديس باكوم ولا القديس باسيليوس ولا القديس مبارك ولا القديس برنردوس ولا الاب دي رانسي والامر اكيد بانهم لم يستوحوا يوسيف في عملهم .

لكن الاسينية ولو انها بخير ما فيها قد أعدّت الطريق للانجيل لم تكن قابلة للاتجاه اليه ولا بد انها أوقفت بعيداً عن المسيح كثيرين من تابعيها المتمسكين بها .

في هذا التمسك بالاسينية كما في كل التقاليد الشريفة نرى ما يستحق الاعتبار وفي بقاء هؤلاء الاسينيين أوفياء لاسم صادوق الكاهن الاعظم. لكن هذا منعهم من الذهاب الى الامام فان الزمان كان قريباً فيه يسمح الله بانتهاء ذبائح الهيكل وبالتخلي عن كهنوت هارون.

رب العدل لم يعرف كالمسيح بعده ان يضع كمال الاعمال في النيّة التي تحييها فأفضى لذلك كالفريسيين الى طلب اهمّ ما في الصلاح من الاكثار في المراسيم الدينية والتدقيق فيها ولو خالفت المحبة الاخوية والعقل السليم ومن هذا نتجت المزايدة ومنها التعصب البليد البغيض لنتائج شريعة السبت حتى والموت عينه اذا سقط انسان في البئر يوم السبت ولم يكن بالامكان انقاذه الا بواسطة سلّم او حبل. من ذلك ايضاً الاكثار من الاستحمام التام والوصايا المختصة بالطباخة. عندما كان المسيح يذمّ الفريسيين في امور كهذه كان يُلمح ايضاً الى ممارسات الاسينيين دون ان يذكر اسمهم.

كان الاسينيون اكثر بعداً من روح المسيح ببغضهم — وكانوا يعتبرونه عملاً دينياً — لا فقط للشرّ لكن ايضاً للخاطئ نفسه «ابن الظلمات» و «رجل بليعال» اذا كان من «الختيم عباد رايتهم او من الفريسيين او من كهنة اورشليم او من جاحدي عهدهم. اما يسوع فيضع في محبة الاعداء اقتداء من الدرجة الاسمى بكمال الآب السماوي.

هذا الشعور وقد شدّدته عقيدة تحديد المختارين السابق كان يحمل الاسيني على الاهتمام بذاته وبعهده لا غير دون مباشرة عمل لهداية بقيّة اسرائيل والوثنيين الى الكمال الذي يتوخاه. اما المسيح فقبل أن يرسل تلاميذه الى الشعوب لدعوتها ابتدأ هذه الرسالة هو نفسه بالعجائب التي صنعها لقائد المئة وللمرأة الكنعانية وبزيارة السامريين.

ان انتظار الاسينيين للمسيح المقبل كان هو ايضاً لا عوناً لكن عائقاً للانجيل. بالحقيقة لقد اعلن رب العدالة بقرب اتمام اقوال الانبياء ويوم الدينونة وهذا الاعلان يذكره الاب المحترم دانيلو بتحيّة واعجاب بهذا الشخص كأنه هو ايضاً نبي حقيقي أقامه الله ليبدأ رسالة يوحنا السابق. لكن ايّ مسيح كان ينتظر الاسينيون. «قانون الحرب» يبيّنه بقتال ليس قط روحياً فانه يظهر

في نور ضئيل مسيح هارون ومسيح اسرائيل ولا نعلم هل هما اثنان او مسيح واحد ونجهل المهمة التي من اجلها أرسلا . لم يكن للروح القدس شركة في النبوءات وهي قريبة جدًا مما ينتظره الشعب من مسيح هو بالاحرى رئيس زمرة مهمّته طردُ الرومانيّين . (يوحنا ٦ : ١٥)

في التآليف التي ظهرت الى اليوم بخصوص قمران لم نرَ من حاول مقابلة بين الاسينيّة والانجيل كما فعلنا نحن هنا باختصار . هذا بالخصوص في كتاب صغير للاب دانيلو: « مخطوطات البحر المائت واصول الديانة المسيحية » .

( باريس : مطبوعات الاورانت ١٩٥٧ )

قد لفت انتباه المؤلفين موافقة عوائد او تعاليم او عبارات بين حياة كنيسة العصور الاولى وحياة الاسينيّين وبين كتب العهد الجديد ومخطوطات المغاور .

ان كتاب الاب دانيلو — والمؤلف شهير وحاذق — يحتوي دون شك على كثير مما تقدم من هذا النوع مع ملاحظات جليّة بخصوص الاختلافات بين الانجيل والاسينيّة لكن لعلّ مهاودته لكل ما هو جيّد خارجاً عن الديانة المسيحيّة حملته على الافراط بالاعجاب ببعض ابطاله وخصوصاً برب العدالة . فهل اتّبع اسلوباً هل وجد رغماً عن مهامه العديدة وقتاً كافياً للتفكر فيتمكّن من تحقيق قيمة المقايسات التي اخذها من غيره او وجدها هو نفسه . للاكتفاء بمثل واحد نسأل هل يوجد حقًا مقابلة ممكنة بين ما يعنيه قولُ المسيح: « الذي يغمس يده معي في الصحفة هو يسلّمني » والنظام المفروض في قمران بان للكاهن الحقّ بان يضع الاول يده على الخبز . والقديس بولس الم يكن له حقّ باستعمال آية حبقوق الشهيرة « البارّ يحيا بالايمان » دون ان يُتّهم باتّباع اثر الاسينيّين او بمجادلة « تأويلهم » ولربما انه لم يقرأه ابدًا .

نعتذر لعدم التوقف طويلًا إزاء هذه المقابلات التي تدّعي بالتدقيق وقد تكون لكثرتها طويلة مُملّة . لنا الامل بان تقدّم البحوث سوف يتوصل بعد نص قصير او طويل الى تمييز ما يمكن حفظه من هذه المقابلات وما يتمّ الاتفاق على اعتباره جديرًا بالاهمال .

اول سؤال تفرضه كل مقابلة دقيقة بين قمران والانجيل له اسم يوحنا المعمدان . قد أثبتنا اعلاه وجوب تأويل رزين متأنٍّ ومع ذلك لا يمكن انكار

وجود علاقات متينة على الاقل بين يوحنا المعمدان والاسينيين . انجيل لوقا يعلمنا بان يوحنا كان منذ صغره في برّية يهوذا :«وكان الصبيّ ينمو وكان في البراري الى يوم ظهوره لاسرائيل» (لوقا ١ : ٨٠) . حسب ملاحظة الاب دانيلو «لا نرى كيف يكون هذا الصبيّ مربياً في البراري» (ص ١٨ من الكتاب عينه) . هذا ما يحملنا نفكّر بانه عاش فيها ضيفاً حياةَ زهد حسب مستقبله عند اناس امناء، واكبر سنّاً منه وما هؤلاء الناس الا الاسينيّون إما في قمران وإما بالاحرى في محل آخر اقلّ بُعدًا من اهله . ليس في «كتاب التهذيب» او في «أثر دمشق» ما يدلّنا على ان الاسينيين اهتمّوا بالتربية ولا يُحتمل إلّا قليلًا ان يكونوا مارسوها في قمران عينها . لكن يوسيف ينسب اليهم هذا العمل بما تعوّده من التفخيم : وهذا ما يحملنا على التردّد .

على شواطئ الاردن يوحنا فتى يافع يحيا حياة زهد مؤثرة شبيهة بحياة مجاوريه ويمكن انه شاركهم مدة من الزمان الحياة في مغاورهم او كهفهم الكبير في طاعة رؤسائهم . لكن هذا امر يحتاج الى اثبات ولا نأخذ على نفسنا ان نقول بانه محتمل .

على كل حال يوحنا في ايام رسالته كان قد استقلّ عنهم ولو فرضنا بانه حفظ من تربيتهم ومن معاشرتهم انواع الصلاة وممارسة التوبة وعبارات مختصّة بهم كثيرًا او قليلًا ثم انه دون امر او سماح منهم باشر رسالة تائهة لا تتفق البتة مع قوانينهم فانه عوضاً عن ابعاد الخطأة عنه يجتذبهم اليه ويأتي بهم الى التوبة ويُعدّهم لمجيء ملكوت الله وهو ملكوت روحيّ دينيّ لا غير . كم هذا التصرّف هو مختلف من «قاعدة الحرب» . ان الاسيني متعصّب للاستحمام لكنه يدّخر ذلك له وحده ولا يقصد به الا الطهارة الشرعية . اما يوحنا فيعرض عماده على الخطأة وحدهم ليساعدهم بهذه العلامة التي تدلّ على انواع من النهاد اكثر فاعليّة وعلى ندامة اكثر نفوذًا واكل . هو الزاهد المشدّد في زهده يعطي لهؤلاء الخطأة ارشادات دون جفاء . ولا شدّة فانه مثلًا لا يأمر العشارين بترك مهنتهم لكن فقط بحفظ شرائع العدل . يجتمع حواليه تلاميذ يعلّمهم الصلاة والصوم بموجب نظام قد يكون شبيهاً بنظام حياة الاسينيين لكنه يمتنع من الحاقهم بقمران .

لا ندري ان كان، من سبب اعماله التائبة هذه، موضوع لعنة مجاوريه ومعدوداً كخاطئ او بالعكس كان له ولتلاميذه معهم علاقات وديّة .

يمكن انه بواسطة تلاميذ يوحنا نفذ شيء من الاسينيّة الى الكنيسة فانهم على مثال معلمهم كان لهم حياة روحية تشبه الحياة في قمران وكانوا يمارسون مراسيم مشابهة مع مراسيم قمران ويستعملون عبارات جارية في هذه الشيعة لذلك لربما كانت الروح الاسينية قد أثرت فيهم لا بامور جوهرية لكن بكثير من تصرفاتهم - بين هؤلاء التلاميذ كان تلميذا يسوع الاوّلان احدهم اندراوس اخو بطرس والآخر قد يكون يوحنا الانجيلي ولا شكّ انهما ليسا الوحيدين بين الذين مرّوا من يوحنا الى يسوع الذي كان يوحنا يبشر به فنعرهما قد تبعه مدة حياة رسالته او فيما بعد .

يلزم ان نبعد بتاتاً فكر اقامة يسوع نفسه في قمران . هل كان له مع الدير علاقة ما . هذا على الاقل امر نشكّ فيه . نعم ان جماعة قمران كانت حارّة في العبادة لكنها كانت هائمة فيها لذلك كان للانجيل صعوبة أعظم للنفوذ فيها من صعوبة النفوذ في الفريسيين رغماً عن تعصّبهم . لا بد ان بعضهم تركوا حزبهم للالتحاق بالمسيح : نفوس كريمة يئسوا من الشيعة لما أحسّوا فيها من نقصان . لربما كانت الجاذبية اعظم في غير محالّ في الجليل مثلاً عند الاسينيين المشتتين في جماعات صغيرة او عند المحتاطين بهم المجذبين . على كل حال كلّ ما نقوله في هذا الصدد ليس الا تخمينات .

قلنا اعلاه باننا لا ننوي اعطاء قائمة مهمة من المقابلات اللفظية التي تُلاحظ بين الآثار الاسينيّة والعهد الجديد لكننا لا نعني بذلك أننا لا نعتبر غير صحيح ما جرى من بحث في هذا الموضوع .

يُجمع الباحثون على ان الاناجيل الثلاثة الاولى لا تحتوي الا القليل النادر من هذا النوع . ان اصل هذه الاناجيل هو التعليم فليست اذن غايتها ان تعطي عقائد لاهوتية او ادبية ببراهينها القياسية لذلك قد اكتفت بنقل تعاليم المعلم كما كان يلقيها على الجموع لا كما كان يحدث له ان يجادل بها نيقوديمس او الفريسيين بنوع مشدّد .

بالعكس عندنا مقابلات بين قمران ورسائل القديس بولس وفي الانجيل

الرابع وايضاً في الرسالة الى العبرانيين.

الاتفاق بين قمران ويوحنا الانجيلي يُلاحظ خصوصاً في كثرة استعمال الالفاظ : النور والظلمات وكلاهما عندهما العبارة « نور الحياة » . لكن رغماً عن هذه المقابلة الفرق بينهما عظيم فان يوحنا ينظر الى النور عينه بخلاله يظهر شخص الكلمة المتجسد الذي جاء الى هذا العالم . اما الاسينيون فيعرفون خصوصاً «ابناء النور» و«ابناء الظلمات» وهي لهم عبارات محمّلة بغضة لا تحاول الشيعة اخمادها وبالعكس المسيح يخمد حميّة « ابناء الرعد ».

كان بولس فريسياً لم يكن له تعلق بالاسينيين . لكن رأينا ان الاناشيد الاسينية وحدها – نظراً الى ما عندنا حتى الآن من الآثار – تدلنا على تعليم اسرائيل فيما يخصّ عقيدة التبرير . نلاحظ ايضاً بعض الشبه بين معرفة واجبه باعلان سر عظيم والامتياز المنسوب الى رب العدالة « باعلان كل اسرار اقوال الانبياء خدامه » . بصواب يستنتج الاب دانييلو من ذلك اثباتاً بان القديس بولس لم يكن بحاجة الى اخذ عبارات وافكار كهذه خارجاً عن التقليد اليهودي.

في اوائل الديانة المسيحية كما نعرفها من كتاب اعمال الرسل نرى جهوداً تبذل في التنظيم منها وقتية ومنها جازمة.

بين الجهود الاولى وَضْعُ كلِّ شيء مشتركاً بين المؤمنين الذي يتكلم عنه كتاب اعمال الرسل (٢ : ٤٥) والذي نتج منه حادث حنانيا وصافيرا المحزن . لا بد انهم لم يبطئوا ان تركوا هذا النظام الذي ادّى الى جعل الكنيسة - الامّ المعوزة الكبرى التي اهتمّ القديس بولس بتزويدها . المقابلة مع قمران جلية لكن بينهما فرق وهو ان نسّاك برّية يهوذا من اجل زهدهم الشديد في الاشياء المادية وانصبابهم على الاشغال اليدوية الثابتة المثمرة لم يوصلهم تخليهم عن اموالهم الى هذا الحدّ من العوز .

أيكون تأثير الاسينية هو السبب الذي حمل جماعة اورشليم على التسرّع في بيع حقول مُغلّة وأموال اخرى مثمرة اما يكون ذلك بالاحرى رغبةً في اطالة أزمنة البطولة في الحياة العامة وفي إسعاف الفقراء.

في هذا البيان الذي اوردناه موجَزاً بخصوص تأثير الاسينية في اوائل الديانة المسيحية نرى مناسباً ذكر رأي عرضته الآنسة جوبر ( Jaubert ) . لقد تأكدت بان

الاسينيين كانوا يستعملون تقويماً كهنوتياً قديماً لحساب ايام السنة الشمسية بثلاثمئة واربعة وستين يوماً ثم عرضت اسباباً شتّى للاعتقاد بان يسوع تبع هذا التقويم عينه. ليأكل الفصح مع تلاميذه. في هذا الحال يكون العشاء الاخير ورسم سرّ الاوخارستيا قد سبقا بيومين حسابنا اي انهما وقعا يوم الثلاثاء. لا يوم الخميس؛ عدة شهادات مسيحية قديمة جداً تبدو لنا كأنها قد حفظت هذه الذكرى ولا ننكر ان هذا الترتيب لحادث الآلام يتفق جيداً مع بعض معلومات الانجيل خصوصاً لانه يعطي المدة الضرورية من الزمان لحضور المسيح امام المحاكم المختلفة.

الى الآن لم يرضَ بهذا الرأي الا القليلون ونلاحظ ان مجلة الكتب المقدسة (Revue Biblique) لم تذكره بعد قط. لكنا لا نقدر إنكار افادته ورفض احتمال صحته.

ماذا يكون نوع ارتضاء المسيح بمبادئ الاسينيين بتصرفه هذا هو ورسله. ليس بامكاننا ان نحدده لكن يظهر جلياً بانه لم يكن للاسينيين تقويم خصوصي لكنهم تمسكوا بالذي عندهم ضدّ ابتداع تقويم الحساب القمري للخِدَم الدينية. عدد من الكتب المحرّفة يتبعون هذا التقويم الجديد وراءه معيناً في كتاب حزقيال حيث يؤرخ النبي رؤياه الاولى بالشهر الرابع وهذه هي عادة التقويم الجديد بتعيين الاشهر بالعدد لا باسمها. لربما جماعات اخرى غير الاسينيين كانوا هم ايضاً محافظين على هذا التقويم.

عندنا مشكلة اخرى نعرضها: باستباق الفصح الرسمي اربعاً وعشرين ساعة او يومين او اكثر يسوع ورسله بعملهم هذا ما كانوا مقاومين جهاراً لسلطات اورشليم الدينية بحيث يظهرون كنشقّين منها ويخسرون ثقة الشعب فانه ولو اننا لا نجد في كتب اليهود المتأخرة دليلاً من هذا النوع لا بد لنا اردنا ام لم نرد من الاقرار بان عدداً من الاسرائيليين الذين كانوا يأكلون الفصح في اورشليم كانوا يسبقون اليوم الرسمي وكان تصرفهم هذا مسموحاً به. اسباب عملية كانت تجعل ضرورياً هذا التصرف للزوّار حتى يجدوا محلاً موافقاً: لم يكن اذن لاستباقهم الفصح واختيار اليوم الموافق قبل التاريخ الرسمي معنى غير مقبول.

في كتاب العهد الجديد لا نجد قط ذكراً للاسينيين كما اننا في الكتابات

التي عندنا من قمران لا نجد تلميحاً واحداً الى كرازة يوحنا المعمدان او المسيح ولا الى تلاميذه. قد يكون الالحاح في طلب سبب لهذا السكوت الغاء مشكلة لا وجود لها اذ ان هذا السكوت يمكن ان يكون عَرَضيًا ويكون سببه الحقيقي ان الاسينية كانت في اسرائيل قليلة الاهمية واننا نرى تجاوزًا للحدود في الاستنتاج بان الاسينيين كانوا بنظر المسيح ورسله وبكل معنى الكلمة اصدقاء « اسرائيليين حقيقيين » . فاذا اردنا على كل حال تأويلًا لهذا السكوت الذي يزعج بعضهم لرأيناه موقفاً صائباً ازاء منظمة مُبهمة حيث ليس لا اعداء حقيقيون ولا اصدقاء جديرون بكل ثقة .

هل يجب التقدم في الزمان بعيدًا للتفتيش على آثار لقمران وللاسينيين في الرسالة الى العبرانيين وفي اوائل الديانة المسيحية في انطاكية وفي محالّ اخرى .

هذا مشروع يبين لنا خَطرًا فانه يتطلب في اوائل الكنيسة مآتي اسينية مهمة نوعاً وعددًا. وهذا امر لا يمكن اثباته وبالعكس نشعر جيدًا في الرسالة الى اهل غلاطية بوجود مؤثرات فرّيسيّة شديدة عند اليهود - المسيحيين .

من جهة اخرى ألا يجب ان نذكر بجانب الاسينية وما يبين شبهاً بها ببعض مظاهره — وقد اهمله اليهود كما اهملوا غيره كثيرين — الاتجاه الذي أعطانا الترجمة السبعينية وسفر الحكمة وفيلون والرسالة الى العبرانيين والاتجاه اليهودي الدينيّ المتكلم باللغة اليونانية ومركزه الاسكندرية وقد نشأ منذ اوائل الكنيسة دون انتظار الاوامر. اخذ الاتجاه الاول يبشر بالانجيل لدى الوثنيين: لم يكن هؤلاء المبشرون فلسطينيين لكن كانوا قبرصيين وقيروانيين « اخوة تبدّدوا من اجل الضيق الذي حصل بسبب استفانس فاجتازوا الى فينيقيا وقبرس وانطاكية وهم لا يكلمون احداً بالكلمة الا اليهود ولكن قوماً منهم كانوا قبرسيين وقيروانيين فهؤلاء لما قدموا انطاكية اخذوا يكلمون اليونانيين مبشرين بالرب يسوع وكانت يد الرب معهم فآمن عدد كثير ورجعوا الى الرب ».

( اعمال الرسل ١١ : ٢١-١٩ )

وسوف تعود جهودهم الى العمل بواسطة برنابا . بين هؤلاء المبشرين برز أبلّوس وهو من اعظمهم واكثرهم نفوذًا « منشأه الاسكندرية وهو رجل فصيح

طويل باع في الكتب .. كان يحجّ اليهود جهرًا حيًّا بليغًا مبيّنًا من الكتب ان يسوع هو المسيح» . (اعمال الرسل ١٨ : ٢٤ و٢٨) .

اليه يُنسب اليوم تصنيفُ الرسالة الى العبرانيين فانها تظهر جليًّا كتأليف يهوديّ يتقن اللغة اليونانية وقد تعلّم في الاسكندرية . إن كان قد تحدّث كثيرًا عن الكهنوت هلّا أمكنه ذلك دون الرجوع الى « العهد الصدوقي» الذي يتكلم عنه « اثر دمشق » اما الجماعة المسيحية — وهي قديمة — التي اليها يكتب فلا يجذبها لا قمران ولا المحلات الاسينية الصغيرة لكن رُتب الهيكل الرسمية .

هل كان للاسينية تأثير خارجًا عن الديانة المسيحيّة في مجتمعات اخرى. لربما كان فيمن شارك في تثقيف الابيونيين اسينيّون والابيونيُّون كما نعرفهم هم جماعة تائهة لكنها يهوديّة قُحّة تعترف بيسوع نبيًا وهي مضادّة للقديس بولس. لكن يصعب علينا ان نجد لهم اثرًا كافيَ الاثبات عند « الغنوستيّين » .

يظهر ان الاسينيّة بعد نكبة سنة السبعين لم تعش قط حتى ولا في الشعب الاسرائيلي نفسه لكنّ شيعة يهودية كانت موجودة في الأجيال المتوسطة وهي بعد في الوجود الى اليوم تدّعي بتُراث الصدوقيين وهي شيعة القرائين وبصفتها هذه قامت ضد التقليد الصادر من الفريسيين . وأنان مؤسسهم قد أثبت من جديد المبدأ القديم الذي يعتبر الكتاب المقدس القانون الوحيد للايمان والحياة الدينية . بهذا العمل تصوّر تلاميذه بانهم ليسوا ورثة صادوق الكاهن الاعظم لكن ورثة صادوق تلميذ انطيكونوس دي سكُو الذي عاش في الجيل الثالث قبل المسيح . بعد وفاة أنان او قبله بزمان قليل في سنة ٨٠٠ مخطوطات اكتشفت في مغارة قريبًا من اريحا — لا بد ان هذا كان مستودعًا اسينيًّا قرب قمران او في نواحيه — فتأثّر القرائيون بالمحل المهمّ الذي يحتلّه فيها اسم صادوق واخذوا عنه طريقة سلوك تامة مُستمدّة من « اثر دمشق » . على كل حال نسختان من هذا الكتاب قد وُجدتا في جنيزة مجمع القاهرة مع مخطوطات للقرائيين ولا بد ان تكونا من صنعهم . بهذا النوع قد بقي شيء مما عمله قديمًا رب العدالة .

# اكتشافات بريّة يهوذا

## وما اتت به في مواضيع شتى

انتباه العالم كله التفت الى اكتشافات ضواحي البحر المائت لكنه لم يهتمّ الا قليلًا بغير ما وُجد في قمران وبما أتى به من مساعدة لفهم الكتاب المقدس فهماً أوفى او بالاكثر للتبحث بصواب او بغير صواب عن الاسينية والديانة المسيحية .

ينبغي لنا ايضاً ان لا نجهل ما اعطتنا الاكتشافات الاخرى من آثار في قمران وفي غير مواقع من بريّة يهوذا وهي مفيدة لعلوم قديمة شتّى إفادة لا يجوز اهمالها لانها هي ايضاً تأتينا بما هو أهل لاهتمامنا .

لبحثنا هذا نكتفي بمطالعة الفصل الاخير من كتاب الاب ميليك واعطاء موجز منه .

يلاحظ المؤلف اولًا ان مجموع المخطوطات المكتشفة يمتدّ تاريخها الى الفي سنة تقريباً . احد اوراق برديّ « المربّعات » وهو الاقدم عندنا باللغات السامية يتصل بالجيل الثامن قبل المسيح . نقرأ فيه اللغة العبرانية مكتوبة بحروف فينيقية : اربعة اسماء علم واعداد . ومن جهة التاريخ الاحدث عندنا آثار خربة ميرد : قطع عربية مكتوبة على ورق .

ثماني لغات تظهر في الآثار هذه وهي : اللغة العبرانية للكتاب المقدس وعبرانية الميشنا والآرامية الفلسطينية واللغة النبطية واللغة اليونانية واللغة السريانية الفلسطينية واللغة العربية .

في قمران اكثر الآثار الا الكتاب المقدس هي باللغة العبرانية الصحيحة ويمكننا ان نسميها الجديدة وهي اللغة المائتة عالجها اصحاب اللغة لتوفيقها مع الظروف الجديدة على قدر استطاعتهم كما فعل كتاب عصر الانبعاث للغة اللاتينية .

بعض القطع خصوصاً المدرجان النحاسيان هي مكتوبة بلغة مختلفة قليلًا باللغة التي ستظهر فيما بعد في الميشنا وهكذا تكون شهادة لحياة العبرانية الى عصرها وهي ممتزجة اقلّ او اكثر باللغة الفينيقية في بعض الاماكن .

النكبتان نكبة سنة السبعين ونكبة سنة المئة والخمس والثلاثين جاءتا بالشؤم لهذه اللغة القليلة الانتشار لغة فلسطين الارامية التي تكلم بها المسيح نعرفها بتاريخ اقدم منه بكثير في كتاب دانيال وبتاريخ احدث بآثار يهودية شتى . قمران تردّ الينا نصوصاً معاصرة لاوائل تاريخنا . يوماً ما سوف يساعدنا هذا في توضيح بعض تفاصيل كتب العهد الجديد .

اللغة السريانية - الفلسطينية وهي لهجة ارامية من النوع الغربي اتخذتها الكنائس الملكية زمناً قليلاً قبل الفتح العربي مُعارضة للغة السريانية ولكنها لم تقدر على مجاراتها ولو عن بعد لانها تأخرت كثيراً فلم يكن لها زمان كافٍ لذلك . كان يوجد مخطوطات بهذه اللغة اكتشف اكثرها خارجاً عن بلادها الاصلية خصوصاً في سينا وفي جامع الامويين . دير خربة ميرد تعطينا غيرها وفي بلادها عينها مع قطع غيرها باللغة العامية . لكن اثمن ما جاءنا لفائدة درس اللغات والاصول السامية هي عدة مخطوطات نبطية نجد فيها بالخصوص مبايعة طويلة بها وارثٌ يسترجع اموالاً بيعت بالمزاد . قراءة هذه المبايعة وادراك معناها توصّل اليها الاب ستاركي . الى اليوم كانت اللغة النبطية تُعدّ بين اللغات التي لا نعرفها الا من تواريخ القبور وكتابات اخرى قصيرة قليلة العدد .

اكثر صعوبة من علم اللغات هو علم الكتابات القديمة وتحولاتها لكنه كالفخار القديم مفيد جداً ولو ثانوياً لعلم الآثار . الى اليوم فيما يخصّ اللغة العبرانية قبل تاريخنا وفي اوائله لم يكن لدينا الا كتاباتٌ والأصداف وهذا كان كافياً للمتخصصين لاكتشاف تقدّم تاريخ مدرجات قمران . من الآن فصاعداً هذه المدرجات والقطع التي وُجدت معها تكون ادلّة كبيرة الثمن وقد انتجت نتائج غزيرة .

من اهمّ هذه النتائج المقابلة بين ما وُجد في قمران من نصوص الكتاب المقدّس ونصوص « المُربعات » للكتاب عينه . النصوص الاولى هي اقدم من سنة ٦٨ فهي اذن اقدم من مجمع الربّانيين الذي اقيم في جمنيا سنة ٨٠ وعنه تُكلمنا الميشنا والذي حدّد نهائياً نصوص الكتاب المقدس العبراني . نجد فيها فروقاً بالمقابلة مع هذا النص وهو مُصادقةُ المثال الاصليّ ولو اختلف شيئاً ما من الترجمة السبعينية . نجد فيها ايضاً حروفاً كتابية مختلفة أُهملت لِقِدَمها . نصوص

الرّبانيين ليست فقط مُقرّرة نهائيًا بذاتها لكن ايضاً بنوع كتابتها ولا بدّ انها فُرضت في جمنيا .

اخربة قمران تكلمنا عن تمرد اليهود الاول سنة ٧٠–٦٦ . في وادي المربّعات نرى آثار التمرد الثاني في عهد الامبراطور هادريان (١٣٥–١٣٢) . لا بدّ ان المتمرّدين اتخذوا كملاجئ المغاور في هذا الموقع بقيادة يشوع ابن جلجولة وكان لهذا علاقات مباشرة مع بركوكبا الشهير رئيس التمرد الاعظم . الى اليوم كنا نعرف لهذا تسمية مدح بركوكبا :( ابن الكوكب ) وكنية بركوزبه ( ابن الكذبة ) . في المربّعات نعرفه باسم ثالث باسمه الحقيقي شمعون بركوزباه ( ويكون معناه : الكزبرة . ولربّما تكون تسمية حرب) . اغرب القطع رسالة منه الى يشوع بر جلجولة ولا بدّ انها بخط يده فيها يظهر ذا حماسة شديدة : «يشوع بر كوزبه الى يشوع بن جلجولة والى رجال الموقع. السلام . آخذ السماء شاهداً ضدي اذا عومل احد الجليليين الذين هم بينكم معاملة سيئة اذ ذاك سوف اقيد رجليك بالحديد كما فعلت بابن ابلول . كتبه شمعون بركوزبه » .

قد يكون هؤلاء الجليليون لاجئين يهوداً من الجليل أحرى من ان يكونو مسيحيين وقد اساء بر كوزبة معاملتهم حسب القديس يوستينوس القيصري. ولربّما يكون سوء المعاملة عدم اعطائهم كل حصّتهم من المأكل في اوقات المجاعة هذه في ايام حرب .

ننهي بهذه الرسالة القصيرة بعث بها راهب لارشيمندريته تحيّةً لخربة مرد وهي اقل غنى من غيرها بالاكتشافات الكبيرة :

« من قِبل المبارك من الرب والمعلّم غبريال الى رئيس منارة معلمينا وآبائنا ارجوك الصلاة من اجلي من سبب القبيلة فان قلبي يرتجف بخصوصها . ليكن معك السلام من قِبل الآب والابن والروح القدس . آمين » .

صوت مؤثر في سرّ هذا الدير الذي بدوره سقط في الاهمال. صوت شاركها اتفاق الحفريات الحديثة وقد ابتعدت باصوات اسلاف قمران فاضحت بعد المسيح وفي شريعته وقد رُسمت بعلامة الصليب صدى الجهود التي بدأت ببذلها في شريعة موسى نفوس كريمة تركت كل شيء في طلب الله .

# المحامي عن العدل او المدعي العام الكنسي

بقلم الخوري يوسف حتي
دكتور في الحقوق الكنسية – وكيل النائب القضائي في المحكمة البطريركية الاستئنافية المارونية

من جملة الوظائف العديدة العامة التابعة للدوائر الاكليركية وظيفة المدعي العام الكنسية. اما مهمة هذا الموظف فذات اهمية من الدرجة الاولى بوصفه حارساً يقظاً تقع على عاتقه صيانة القانون واحترام العدل.

وهو بصفة كونه المدافع عن المصلحة العامة والمنتصر لها يرى نفسه قد عهد اليه بأثمن كنوز الكنيسة. فالى المدعي العام يعود الحق وعلى عاتقه تقع المسؤولية الخطيرة في تطبيق الاوامر الصادرة عن السلطات الشرعية. وعليه ان يعمل في سبيل التقيد بالقوانين، عليه ان يصون قيمة الاسرار وان يتلافى الجنح. وله ان يطالب بانزال العقوبة بالمخالفين، وان يدافع عن حقوق القاصرين والاشخاص المعنويين وعن العاجزين والضعفاء.

وفي سبيل تمكنه من القيام بمقتضيات وظيفته البالغة الشرف والدقيقة كل الدقة والشاقة جد المشقة، لا بد له من ان يتحلى بابرز الصفات: الحزم في الطبع والاستقامة في الاحكام والتعلق الواعي بالكنيسة والغيرة على مصالحها غيرة لا يعتريها الونى، والتضلع المكين من علم الحقوق، والثبات الذي لا يتزحزح على رغم مناوأة الاشرار له.

ولقد اجمع العلماء على الاعتراف باهمية دور هذا الموظف، ومع ذلك فما برحت ايضاحات القانون بصدده ضئيلة، ولم يخصه بدراسة معينة ومنظمة الا النزر اليسير من علماء الحقوق الكنسية، فلذلك لا غرابة فيما اذا ظل منشأ المدعي العام الكنسي يكتنفه الغموض واذا ما استمر وجهه القضائي مبهم التعريف.

– اصل المدعي العام من الوجهة التاريخية

اننا لنتنكر مع غالبية المؤلفين امكان العثور على هذا الاصل في الحقوق

الرومانية . وفي الواقع ان الالقاب التي جاء على دراستها كتاب مجموعة الفتاوى (Digeste) او كتاب مجموعة القوانين (Code) تشهد فقط على قيام التشابه بين الاسماء. وتنفي ان تكون هذه الوظيفة هي نفس الوظيفة التي يضطلع بها المدعي العام الحالي في الدوائر الاكليريكية .

فان « الوكلاء والمحامين » (Procuratores et Defensores) لم يكونوا سوى ممثلين عاديين انتدبهم شخص فرد للدفاع عن مصالحهم في المعاملات المدنية . وكذلك كان ايضاً « وكيل القيصر » (Procurator Caesaris) مندوباً بسيطاً للامبراطور وممثلاً شخصياً للقيصر لا تنطوي مهمته على اي وظيفة عامة كانت . اما « وكلاء .... دار الجباية وبيت القيصر » (Procuratores Praediorum et domus Augustae) فكانوا موظفين انيط بهم امر العناية بأملاك الامبراطور وتمثيله امام المحاكم . وان وجه « المحامين عن المدن (Defensores civitatum) ليختلف ايضاً عن وجه المدعي العام الكنسي فانهم قد كانوا بالاخص قضاة عهد اليهم في امر تحديد الدعاوي ذات الاهمية الضئيلة . اما « المحامي المالي » (Advocatus fisci) الذي يعمل في الامور المدنية العائدة للجباية فدوره لا يستطيع ان يكون نفس دور المدعي العام الكنسي القائمة مهمته الرئيسية على ملاحقة الدعاوي العامة .

اما « المحققون في الدعاوي الجنائية » (Quaestores parricidii) فانهم لا يمثلون جميع ملامح وجه مدعينا العام المعقد ، اذ كانوا يمارسون احياناً السلطة القضائية .

وثمة سبب آخر يزيد هذه النظرية ، وهو ان الاشتراع في رومية لم يعرف وظيفة المدعي العام في العهود الثلاثة للملكية والجمهورية والامبراطورية ، « فالدعوى الشعبية » (Actio popularis) قد منحت حق ملاحقة الجرائم لكل مواطن ، مما لا يترك مجالاً لشخص يمارس وظيفة عامة باسم المجتمع .

وانه لمن العبث ايضاً ان نرغب في البحث عن اصل المدعي العام الكنسي كما هو الآن في « اصول الاتهام الشخصي » (Système accusatorial privé) الذي اتبعته الكنيسة في القرون التسعة الاولى من وجودها ، فتلك الطريق

المتبعة في اصول المحاكم الجنائية كانت مستمدة من الاشتراع الروماني وتكاد تشبهه من جميع الوجوه .

وتحت شكل اصول المحاكمات عن طريقة اعلام السلطة المختصة (Procédure par dénonciation) يزداد سيرنا نحو تأليف نيابة عامة كنسية . « فشهود المجامع » (Témoins synodaux) الذين عهد اليهم بوظيفة عامة وانيط بهم التحقيق في الجرائم لصيانة القانون والعدل (Pro legis et justitiae tutela) قد مهدوا الطريق امام قيام وظيفة المدعي العام الحالي . فمنذ ظهورهم الى حيز الوجود اخذ وجهه يزيد ارتسامًا . الا اننا لا نرى جميع مظاهر هذا الموظف الكنسي تحت هذا الشكل من اصول المحاكمات كما لم نره تحت شكل الادعاء الشخصي الذي مرّ بنا درسه .

ولقد كان لطريقة التفتيش (Système inquisitorial) التي ادخلها اينوسنت الثالث في الكنيسة تأثير كبير في ايجاد المدعي العام الحالي ، فغالبًا ما كان القاضي يعين بحكم الوظيفة (fama publica deferente) شخصًا ثالثًا يسمى « المدعي العام المفوض خصيصًا من القاضي» (Promotor specialiter delegatus a judice) ، ومهمته استجماع الادلة بحق المجرمين . فكان « وزير التفتيش » هذا (Minister inquisitionis) مرحلة جديدة اخرى من السير نحو اقرار الوظيفة التي نحن بصددها .

واصول المحاكمات بطريقة التحقيق مع محرك للاتهام (inquisitio cum promovente) التي افضت الى ايجاد شخص رسمي (Promovens) انيط به توجيه الاتهام ، قد كان لها تأثير كبير في اقرار مدعينا العام الحالي اقرارًا نهائيًا . واذا ما سرنا خطوة اخرى الى الامام عثرنا على مفهوم « المدعي العام المالي » (Promotor fiscalis) والمدعي العام العدلي (Promotor justitiae).

ولهذا اننا لواجدون اصل المدعي العام الاشد مباشرة في اصول التحقيق مع محرك للاتهام (Inquisitio cum promovente) وذلك فيما يتعلق بمهمته الرئيسية كمدع عام يوجه الاتهام في الجرائم .

وفيما يختص بدوره الثاني في الدعاوي الحقوقية ولا سيما في دعاوي املاك الكنيسة الزمنية، فقد بحثنا عن اصله في انظمة الكنيسة للقرن الثالث عشر

وعلى الاخص في « مؤسسة الوكلا. العامين الماليين للدوائر الكنسية والرومانية».
(Institution des procureurs ou promoteurs fiscaux des curies ecclésiastiques et surtout de la curie romaine).

وهاتان الوظيفتان - كانتا في البد. مختلفتين احداهما عن الاخرى ويمارسها رجال مختلفون بيد ان الجمع بينهما لم يتأخر به الزمن حتى كان منذ نهاية القرن الثالث عشر ( قبل سنة ١٢٨٦ ) في ابرشية ريمس في فرنسا .

وهكذا لم يبق لنا من حاجة الى الاحتذاء « بوكلا. ملوك فرنسا » (Procureurs des rois de France) لنوضح اصل المدعي العام من الوجهة التاريخية .

ب - بعض المعلومات الاولية الشرعية بصدد المدعي العام الكنسي

اننا ندرس بادئ بدء الاشخاص الذين خولهم القانون صلاحية تعيين المدعي العام . ان هذا الحق يعود الى الحبر الاعظم في الكنيسة كلها جماء والى الكرادلة في ولاياتهم (territoires, titres, diaconies) والى البطاركة والى رؤساء الاساقفة اذا كانوا من اصحاب الابرشيات المقيمين ، والى النواب والمدبرين الرسوليين (Vicaires et préfets apostoliques) في نياباتهم ومدبرياتهم ، والى ممثليهم (Pro-vicaires et pro-préfets) اذا لم يكن هؤلاء النواب والمدبرون موجودين ، واذا كان هناك عائق يحول دون ممارستهم لولايتهم ، والى المدبر الرسولي المعين مدبرًا دائمًا (Administrateur apostolique permanenter constitutus) والى المدبر المعين موقتًا (ad tempus) بنفس شروط النائب الذي يدبر الابرشية الشاغرة (Vicaire capitulaire) والى رؤساء الديورة والاساقفة الذين لا ابرشية لهم (Abbés et prélats nullius) وذلك في اديارهم وولاياتهم ، والى المطران المقيم ، والى مساعده اذا كان عاجزًا ، والى النائب مدبر الابرشية الشاغرة ، والى القاضي الذي ينتدبه الكرسي المقدس والى رؤساء الرهبانيات الاعلين (Supérieurs religieux majeurs) لمحاكم رهبانياتهم .

وعلى العكس من ذلك نحن ننكر حق هذا التعيين على الكرادلة في خارج ولاياتهم وعلى نواب البابا ، وعلى البطاركة ورؤساء الاساقفة الذين لا ابرشية لهم ، وعلى وكلاء النواب والمدبرين الرسوليين في اثناء حياة من ينوبون

عنهم ، وعلى المساعد الذي اقيم لاسقف وهو لا يزال قادراً على ادارة ابرشيته (Vicaire coadjuteur) ما لم يكن مزوداً بتفويض خاص ، وعلى الاسقف المساعد غير المفوض (évêque auxiliaire non mandaté) وعلى المطران الفخري، وعلى النائب العام ، والنائب المنتدب (Vicaire délégué) وفقاً لتعليمات مجمع الاسرار المقدسة الصادرة في ١٥-٨-٣٦ ، وعلى رئيس الديوان واخيراً على القاضي الذي انتدبه الاسقف .

ولنبحث الآن المزايا المطلوبة ليصح احدهم ان يكون مدعياً عاماً . انه من واجب المدعي العام (Jure codicis) بالنظر الى اهمية دوره ان يكون ذا طابع كهنوتي ومن اصحاب السمعة التي لا غبار عليها اي انه عليه ان يكون من الذين يتمعون بالتقدير الذي يقدر به الرجال المستقيمون ، وعليه ايضاً ان يكون حائزاً على مرتبة دكتور في الحقوق القانونية او على الاقل ان يكون من اهل الكفاية في هذا الباب . وعلى الاجمال من المفروض في المدعي العام ان يكون حائزاً على صفتين هما الحكمة والانصاف اللذين لا يستطيع بدونهما ان ينجز المهمة الملقاة على عاتقه . اما من جهة الحق المتبع (De Jure condito) فلا نعتقد ان شرطاً من هذه الشروط هو مطلوب لصحة تعيينه .

واذا ما عالجنا طبيعة ما انتدب له المدعي العام (nature du mandat) فنؤكد ان هذا العضو في الوزارة العامة الكنسية ، لا يمارس عمله الا بحكم الوظيفة الكنسية بالمعنى الواسع لمناها القانوني (Office ecclésiastique au sens large) لا في المعنى الضيق . فمهمته لا تنطوي على اي سلطة كانت بالنسبة الى الدرجات الكهنوتية (aucun pouvoir d'ordre) . وهو لا يمارس اي ولاية من الوجهة الضميرية فيما يختص بالاسرار وفيما هو خارج عنها . اما من حيث اضطلاعه بوظيفته في المحكمة الخارجية فنعلن ان المدعي العام هو مجرد عن كل سلطة تشريعية وغريب عن كل مساهمة في السلطة القضائية وعن ممارسة اي سلطة تنفيذية .

اما بصدد حق المدعي العام بالتدخل فنعلن انه بوصفه محامياً عن المصلحة العامة الكنسية فهو معهود اليه ان يتدخل في الدعاوي الاجرامية وقد عهد المشترع اليه وحده في القيام بجميع هذا العمل . وفي سبيل حماية القانون وصيانة

المصلحة العامة من حق المدعي العام بل ومن واجبه ايضاً التدخل في القضايا الزواجية ودعاوي الفصل بين المتزوجين وبالدعاوي المتعلقة بالعماد والرسامة الكهنوتية وبدعاوي مصالح الكنيسة واملاكها وبالقضايا العائدة الى القاصرين والاشخاص واخيراً بالقضايا التي تتناول شرائع اصول المحاكمات . وما خلا هذه الشؤون فان وجود المدعي العام لا بد منه في قضايا الاجرام وفي المحاكمة الحقوقية اذا ما ارتأى الاسقف ان المصلحة العامة عرضة للخطر .

واذا ما بحثنا قضية وجه المدعي العام من الناحية القانونية (Figure juridique) نحن من الذين يؤكدون ان هذا الشخص الكنسي لا يقوم بأي دور كان لتمثيل اسقفه كما كان يمثل وكيل الملك قديماً سيده . واننا لا نقر ايضاً له ان يمثل السلطة التنفيذية على شاكلة المفاهيم الفرنسية والايطالية للوزارة العامة ، بيد انه لا بد لنا من الاعتراف بأن ثمة شيئاً من التشابه بين المدعي العامين في الحقوق المدنية وبين المحامي عن العدل الكنسي ، ولكننا ننكر ان تكون الوظيفتان هما هما او ان تكون المماثلة التامة موجودة في الصلاحية او الوظيفة . فالمدعي العام الكنسي بنظرنا هو خصم في القضية (pars in causa) ولكنه خصم لا مثيل له (pars suis generis) وصاحب امتيازات . وهو طرف رئيسي في دعاوى الاجرام . اما في الدعاوي الحقوقية ، فيسمه التدخل كطرف خصم يمارس وظيفة مشابهة للوظيفة التي يقوم بممارستها في الدعاوى الجنائية او انه يقوم فقط بدور ممثل لشريعة في سبيل صيانة المصلحة العامة . اما في دعاوي الزواج فيقوم بدور المدعي اذا كان الفريقان لا يحق لهما اقامة الدعوى في زواجها .

ج – المدعي العام في القضايا الزواجية

اذا ما عالجنا قضية تقديم دعوى الزواج فنحن نؤكد ان القرين البريء يحق له دائماً ان يقيم الدعوى في زواجه ، بيد انه من المؤكد ايضاً ان الكنيسة بوسعها ان تنتزع هذا الحق من القرين المعروف بأنه مسبب مسؤول (Cause coupable) وبالواقع ان الكنيسة تستعمل صلاحياتها هذه ، فتحرم حق اقامة الدعوى على الزوج المسؤول مسؤولية اكيدة (Causa certe culpabilis) لوضعه مانعاً لزواجه او لوقوع هذا الزواج باطلاً بسببه . اما الزوج المشكوك في مسؤوليته (Causa

dubie culpabilis) فلا يمكن حرمانه من حق اقامة الدعوى في زواجه ، سواء أكان الريب من حيث الواقع او من حيث القانون . اما في الحالة التي يكون الزوج مسؤولاً فيها من ناحية ، وبريئاً من الناحية الثانية Causa culpabilis) ex uno capite et causa innocens ex altero capite) فنقول ان الزوج الذي لا صلاحية له لاقامة الدعوى من جهة واحدة (ex uno capite) لا يمكنه ان يقيمها من الجهتين (Quoad duo capita) وان كان يصلح ليقيم الدعوى في احداهما.

واذا ما درسنا حق المتزوجين في اقامة دعوى زواجية عندما يضعان شرطاً لعقد قرانهما ، فباستطاعتنا القول انهما يصلحان لاقامة الدعوى في زواجهما وذلك اذا ما اعلنا شرطاً لائقاً وقانونياً ، اما اذا وضعا شرطاً غير لائق بذاته او عن طريق العرض او شرطاً منافياً لجوهر الزواج فهما لا يصلحان لاقامة مثل هذه الدعوى .

اما حق اقامة دعوى قرينين غير كاثوليكيين فجواب المجمع المقدس الرسمي يعلن عدم صلاحيتهما للتداعي في القضايا الزوجية ، ما لم تكن اسباب خاصة تقتضي اقتضاء ملحاً بقبول شخص غير كاثوليكي كمدع ، ولكن لا بد من الرجوع في كل مرة الى المجمع المقدس في هذا الصدد . وكذلك هو الامر بشأن غير الكاثوليك الذين اقتبلوا سر العماد وبشأن اهل البدع والمنشقين والمارقين فالكنيسة قد حرمتهم حق اقامة دعوى زواجهم امام المحاكم الروحية .

وبصدد الزوجين الصادر حرم بحقهما ويحق المعاطاة معهما (excommunicati vitandi) وبصدد المحرومين المتسامح معهم (tolérés) بعد ادانتهم بحكم منزل العقوبة او معلنها ، فهؤلاء لا يمكنهم التقاضي الا بواسطة وكيل عنهم . اما المحرومون المتسامح معهم فباستطاعتهم اقامة الدعوى في زواجهم وملاحقتها بأنفسهم امام القضاء ، وذلك قبل صدور حكم بحقهم ينزل العقوبة او يعلنها .

ويستطيع القاصرون الذين بلغوا سن الرشد المرافعة والمدافعة في القضايا الزواجية . اما المعتوهون والبالغون العاجزون تاماً فبوسعهم اقامة دعواهم امام القضاء بواسطة ابائهم ، وأوصيائهم او وكلائهم . اما الغرباء (extranei) فلا يستطيعون بموجب القانون (Jure codicis) ان يقيموا دعوى زواجية وانما بوسعهم ان يعلموا بها السلطة ذات الشأن .

وبعد ان عرفنا حقوق القرينين في اقامة دعوى زواجهما فلنحاول الآن القاء شيء من النور على حقوق المدعي العام المقابلة لها ؛ واذا ما وجدنا بين العبارة « المانع العلني يجد نفسه » (Impedimentum natura sua publicum) وبين العبارة « موانع الحق في الحقوق القديمة » (Impedimenta juris publici) نستنتج انه متى كانت الموانع علنية بطبيعتها كان من حق المدعي العام الخاص ان يقيم الدعوى في الزواج وبدون اعلام سابق ؛ اما في بقية الموانع فانه يقوم بعمله بحكم وظيفته (vi muneris sui) وانما بعد اعلام فقط .

واذ فرغنا من ايراد الحجج على حقوق اقامة المدعي العام لدعوى الزواج في « الموانع العلنية تجد نفسها » ، فلنعالج الآن قضية هذه الحقوق في الموانع الاخرى . في هذه الموانع لا يستطيع المدعي العام اقامة الدعوى الا بعد اعلام سابق بيد ان كل اعلام يصله وهو مستوف شروطه من حيث الاساس والشكل لا يوجب عليه لمجرد وصوله (ipso facto) اقامة الدعوى وانما يقضي عليه واجبه قبل ان يتخذ موقف المدعي في قضية الزواج بأن يقوم بالتحري الاداري جاعلاً هدفه البحث عن الاسباب الضمنية والخارجية ( الشك والتشهير والاصلاح ) وبعد بحثه لجميع هذه الامور يحكم على مبلغ صحتها من حيث هي هي وعلى هذا الاساس يشرع بعمله . ومن واجبه ان يضع عريضة مستوفية من حيث الاساس والشكل . ومتى وصلت عريضته هذه الى المحكمة تقرر هذه بدورها اما قبول طلبه واما رفضه فاذا قررت قبوله فمن واجب رئيس الديوان ان يحرص على ان يكون تأليف محكمته كاملاً للبت في بعض امور طارئة اذا اتفق ان كان ثمة شيء منها : دفع الشبهة ، والنفقات القضائية والتسامح بالمونة القضائية . . الخ . ويشرع بعدئذ في الاستحضار والمجاوبة على الادعاء .

وبعد الفراغ من دراستنا لحقوق المدعي العام وواجباته في اقامة دعوى الزواج لنتحول الآن الى النظر في الدور الذي يقوم به في التحقيق بالدعوى اي في اثناء استعراض الادلة والاثباتات . ولما كان الزواج ينعم برعاية القانون كان من واجب المدعي العام ان يقوم على اعداد الذرائع التي تقوى على ادخال الاقتناع المطلوب في نفس القاضي ليلفظ حكمه ضد عقد الزواج . وفي سبيل هذه الغاية ينبغي لنا ان نعترف للمدعي العام بحق ايراد البنود الخاصة التي تتعلق

بجوهر الدعوى وان يطرح على القاضي سلسلة من الاسئلة ليوجهها الى المتزوجين في اثناء استجوابهما وان يقدم للمحكمة لائحة بأسماء شهود لتستمع اليهم وان يكون حاضرًا ليسمع افادات الزوجين والشهود والخبراء. وان يعمد الى اعداد الذرائع او المستندات التي تبرهن على بطلان الزواج ... الخ ...

وبعد فترة تقديم الاثباتات يأتي ميعاد اعلان المحاكمة وختام التحقيق . ومما تنبغي الاشارة اليه هو انه بعد القيام بهذه الاعمال يجب على القاضي ان يأخذ رأي المدعي العام — وهو رأي مطلوب صراحة — للتمكن من الاستماع الى الشهود انفسهم مرة ثانية ولاستجلاب شهود جدد وقبول اثباتات جديدة. ويحق للمدعي العام فضلًا عن كل هذه الامور وبعد المهلة التي حددها الحاكم للمناقشة في الدعوى ان يقدم مرافعة تحت توقيعه الى رئيس المحكمة وان يرد على ملحوظات محامي الوثاق . ثم يلفظ القاضي حكمه الذي لا عمل للمدعي العام في وضعه ووضع صيغته وانما يقضي الواجب بابلاغه اياه بعد صدوره .

وعند صدور حكم بصحة الزواج ، يحق للمدعي العام ان يستأنفه الى محكمة أعلى اذا حسب نفسه موقرًا من جرائه . ويحق له ايضًا ان يرفع شكوى البطلان ضد الحكم مستقلة عن الاستئناف ، الا انه عليه في هذه الحالة ان يوجه طلبًا يتضمن حيثيات كافية الى القاضي الذي لفظ الحكم المشوب بشائبة البطلان .

د — المدعي العام في بقية الدعاوي الحقوقية

وان كانت هذه الدعاوي تتصل في الدرجة الاولى بمصلحة الافراد الخاصة فان بعضها يتعلق بالمصلحة العامة ايضًا . فبناء على هذا اننا نبرر تدخل المدعي العام في الدعاوي العائدة الى القاصرين والاشخاص المعنويين على رغم الوصاية القضائية التي وضعها القانون نفسه في متناولهم . وان اشد هذه التدابير جدوى — وان كان تنفيذه نادرًا — هو الذي وضعه القانون الكنسي لحماية القاصرين والاشخاص المعنويين وهو بدون ريب اعادة المحاكمة .

وانه اذا ما اتفق للمدعي العام ان يتدخل في الدعاوي الروحية فله ما يبرر تدخله كل التبرير لانه من المحال ان نقوى على فصل مفهوم المصلحة العامة عن

مفهوم الدعاوي التي تتصل بحياة المؤمنين الروحية ، وباستطاعتنا ان نورد المعمودية والرسامة الكهنوتية والهجر بين الزوجين مثلاً على ذلك .

واخيراً ثمة حالات يتطلب المشترع تدخل المدعي العام فيها صراحة واننا لنذكر بهذا الصدد بصورة خاصة الدور الذي يتولى القيام به في دعاوي حراسة العين ومنع التصرف في الحق ، وفي دعاوى اعادة اليد او استرجاعها ، وفي الدعاوى المتعلقة بالمدعي المتخلف ، او برفض العريضة ، او باعطاء المعونة القضائية الخ ...

هـ – المدعي العام في دعاوي الجرائم

ان حق الاتهام الاجرامي هو من اختصاص المدعي العام وحده ، اما بقية الافراد الشخصيين والضحية نفسها فباستطاعتهم فقط اعلام السلطات ذات الصلاحية بالجنحة . وهذا العلم المسبق الذي يتقدم به الفريق المتضرر او هذه الشكوى هما مطلوبان في القضايا المتعلقة بالاهانات او بالثلب ، وانما هناك شواذ عن هذا المبدا العام . فالفعل الاجرامي بالاستطاعة مباشرة الدعوى فيه بحكم الوظيفة اذا كانت الاهانة او الثلب خطيراً وبحق اكليريكي او راهب او بالعكس اذا كان الفاعل اكليريكياً او راهباً .

ولا بد لنا من الاشارة الى ضرورة القيام بالتحقيق القضائي الخاص اذا ما بلغنا هذه المرحلة وذلك اذا لم تكن الجنحة مشهورة ولا اكيدة كل التأكيد . ولا مندوحة لنا ايضاً عن التذكير بحقوق المستنطق – وهو عادة احد القضاة الابرشيين – في العودة الى طلب رأي المدعي العام كلما اعترضته صعوبة والى اشراكه في دراسة المستندات قبل ختام التحقيق. وهذا هو الامر الوحيد الذي يرجع فيه الى المدعي العام في باب التحقيق .

واذا اوضح المحقق في تقريره عند ختام التحقيق ثبوت الجنحة وخطورتها الموضوعية ومسؤولية الفاعل وامكان اقامة الدليل القضائي على ذلك حوّل الرئيس المكاني مستندات التحقيق الى المدعي العام، وذلك اذا اتضح ان التوبيخ القضائي هو غير كاف لاصلاح الشك الناجم عن مخالفة القانون . فينظم عندئذٍ المدعي العام عريضة الشكوى ويرفعها الى ديوان الابرشية .

ومتى رأى القاضي انه صالح للنظر في الدعوى فلا يستطيع ان يرفض لائحة المدعي العام الاتهامية الا لاسباب مستمدة من الشكل ، اما اذا كانت لائحته صحيحة من حيث شكلها فعليه ان يستدعي المتهم وان يشرع في معاملات التحقيق .

اما المتهم فيجري استدعاؤه وفقاً للاصول المتبعة في الدعاوي الحقوقية. فاذا ابى المدعى عليه الدعوة الموجهة اليه ومثل امام القاضي وفي نيته الدفاع عن نفسه فثمة مجال للمجاربة على الادعاء . اما اذا لم يحضر المدعى عليه بشخصه او بواسطة وكيل ينوب عنه فيعلن القاضي محاكمته غيابياً نزولاً على طلب المدعي العام الذي عليه اثبات وقوع الجنحة ومسؤولية المدعى عليه ، وان العقوبات التي جاء على ذكرها في لائحته الاتهامية هي عقوبات يفرضها القانون . وفي فترة تقديم الاثباتات والادلة يتمتع المدعي العام بنفس ذرائع الاثبات التي يتمتع بها في الدعاوي الحقوقية . وبعد ان يمحص القاضي الادلة التي اوردها المدعي العام والمدعى عليه يصدر حكمه بادانة هذا الاخير او بتبرئته حسبما تتحقق له مسؤوليته او براءته .

يتضح من هذه الدراسة الخاطفة اهمية وظيفة المدعي العام في المحاكم الكنسية ، فهو يحتل مقاماً مرموقاً بين اعضاء الدوائر الاكليريكية بوصفه المساعد في القضاء والحارس للمصلحة العامة والمنتصر لها . ولقد كان من غايات هذا المقال بيان اهمية هذا المركز والقاء النور على اصل المدعي العام من الناحية التاريخية ، وعلى ملامحه القضائية وعلى الدور الذي يتولاه في الدعاوي الحقوقية والجنائية ، آملين ان يعود درسنا ببعض الفائدة على اعضاء المحاكم الروحية وخصيصاً على من يقوم بهذه الوظيفة الخطيرة .

# تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية

للاب لويس بليبل ( ✝ ١٩٣٨ ) (تابع)

المجلد الثالث

عدد ١٠٧

وفي سنة ١٨٠٤ سلّم بوجه الوقف ، البعض من عائلة صفير دير مار جرجس الرومية الى الرهبانية على يد الاب العام عمنويل الجميل لاسباب يرى المطالع اكثرها مدونة :

١ً في قرار السيد البطريرك يوسف التيان مع خمسة من الاساقفة ، باستحسان تسليم الدير الى الرهبانية ، مصرحاً به عن اسباب التسليم .

٢ً من صك الوقف .

٣ً من صك الامراء واعلان رضاهم عن التسليم .

٤ً من عريضة الشيخ جرجس باز الى المجمع المقدس بهذا الخصوص .

وهذه حرفية قرار السيد البطريرك والاساقفة :

(الختم) الحقير يوسف بطرس البطريرك الانطاكي وسائر المشرق

اعلام بالرب لكل واقف على اسطرنا هذه :

انه اذ كان الكرسي الرسولي قد ابرز جملة تحديدات واوامر متكاثرة في ملاشاة الشركة فيما بين الرهبان والراهبات « اي الاديار المزدوجة » . واخيراً قد ابرز امراً قاطعاً في ملاشاة الاديرة عينها ان لم يتمكن ملاشاة الشركة كما هو محرر في التحديد المعطى في سنة ١٧٩٠ .

وهذا التحديد ، اذ لم يكن تمّ مفعوله بذاك الحين فجمع انتشار الايمان المقدس ، من بعد ارتفاقنا الى السدة البطريركية باثبات الحبر الاعظم البابا بيوس السادس (١٧٧٥—١٧٩٩) السعيد الذكر قد رجّع بسلطانه نفوذ هذا التحديد وسلوكه بالعمل بموجب رسوم تاريخه في ١٣ اذار سنة ١٧٩٦ .

فنحن امتثالاً لهذه المراسيم قلدنا ملاشاة الشركة المذكورة اولاً من دير مار جرجس

الرومية لحضرة الاخ مطران الابرشية « اسطفان الخازن » واذ لم يكن ملاشاة بالنوع المطلوب من التحديدات الرسولية . التزمنا وباشرنا الامر بذاتنا .

وبعد استعمالنا كل الوسائط الفعّالة ليس فقط لم نستفد شيئاً لكمال مرغوب السدة الرسولية البطرسية بل انها زادت من رهبان وراهبات هذا الدير الشكوك والانقسامات فيما بينهم ، حتى ان بعضهم اختصّ لذاته راهبات وقسموا ارزاق ووقوفات الدير . وبدّدوا وباعوا منه جانب لاجل الدفائع على الرئاسة .

ولذلك خاب املنا من نظام هذا الدير على موجب الرسوم الرسولية . فانباعاً لارشاد المجمع المقدس المرسول بتاريخ ١٨ آب سنة ١٧٩٦ قد شاورنا حضرة الاخوان المطارنة المحترمين وبقوة السلطان الممنوح لنا قد لاشينا دير الرومية المذكور التلاشي التام اي اننا نقلنا منه الراهبات الى غير اديرة وعيّنّا لهم معاشاً كافياً من اصل مداخيله .

ونرسم ونتادي بان هذا الدير لم عاد يدعى دير راهبات ولا عاد للمذكورات عليه حق من الحقوق ولا الى بيت صغير دعوى ما فيما سيأتي . لان الوقوفات بأجمعها متعلقة بسلطان الكرسي الرسولي .

واما الدير المذكور بشور حضرة الاخوان المطارين المحترمين قد ارتضينا الرضا التام بان يكون ملكاً وقد ملكناه الى حضرة اولادنا الاعزاء الرهبان البلديين اللبنانيين وانه من الان وصاعداً يُحسب ملكهم كاحد اديرتهم القانونية يتصرفوا فيه وفي ارزاقه ومداخيله وكلما يتعلق فيه التصرف التام العادي من كل شائبة شرعية او كنائسية .

وذلك لكون اولادنا الرهبان البلديين المذكورين لهم استحقاقات وافرة واتعاب جزيلة في الطائفة .

ولكوننا ايضاً محققين حسن فطنتهم وغيرتهم وافرازهم وجدهم على حفظ القوانين الرهبانية ونظام الاديرة على موجب الرسوم الكنائسية . هذا ما لزم ان نتادي به لاجل خلاص ذمتنا واتمام وظيفتنا وامتثالاً لاوامر السدة الرسولية .

اعطي في ١٦ تخلت من شهر ايار سنة ١٨٠٦

| | | |
|---|---|---|
| الحقير | الحقير | الحقير |
| (ختم) جرمانوس ثابت | (ختم) اسطفان | (ختم) مخايل فاضل |
| مطران جبيل والبترون | الخازن | مطران بيروت |
| الحقير | الحقير | الحقير |
| بطرس مبارك | اغناطيوس الخازن | عبدالله بليبل |
| (ختم) مطران بعلبك | (ختم) مطران طرابلس | (ختم) مطران قبرس |

(عن الاصل المحفوظ بدير الرومية)

وهذه حرفية صك الوقف المسلَّم بيد آباء الرهبانية من بعض عائلة صفير :

الداعي لتحريره

اننا نحن الواضعين اسامينا بذيله بالحق الذي لنا من باب الميراث العالمي من ملك اجدادنا وبيّاتنا بدير الرومية اننا نسلّم لمن يقوم بالخدمة الالهية والحدود الرهبانية واهلنا الكهنة الذين موجودين بدير الرومية ، قد ظهر منهم كسور من عدم انفاقهم وانضامهم مع بعضهم وانعدمت الثمرة الرهبانية في الدير المذكور .

فلاجل خلاص ذمتنا قد سلمنا الدير المذكور الى حضرة الاب عمنوئيل الجيل الرئيس العام ومدبرينه اللبنانيين تسليم شرعي بخاطرنا وتمام رضانا من غير كره . يتصرفوا في الدير المذكور حسبما يشاؤوا ويريدوا في عوايدهم وقوانينهم .

بقي الدير المذكور ملكاً من بعض املاكهم الشرعية فصار لهم حق التصرف الكلي بجميع ما يعرف بالدير من اثاث واملاك ومواشي من كلي وجزئي . وقد وهبنام جميع ما يخصنا من ارث جدودنا وبيّاتنا الى الرهبنة المذكورة واذا احد منا اراد يدعي لا تسمع دعواه بجميع الشرائع عند جميع القضاة .

ولنا عليهم في الشركة الروحية والمناظرة منهم حسب الامكان . واذا احد من عائلتنا اراد ان يدخل في الرهبانية هذه ليس عليه مانع من الرجال والنساء . واذا انقطع احد منا يتاش من الدير حسب ما يقتضي معاش المقطوعين . ويصير قداس نهار كل جمعة عن انفس الموتى المذكورين . وقد حررنا هذا السند الشرعي بيدهم لاجل الاحتياج اليه .

صح . وجرى في شهر كانون الثاني سنة ١٨٠٦

قابل على نفسه

خليفة صفير

قابل على نفسه ومحرر الاحرف واكيم صفير

مرعي جلوان صفير

( عن الاصل المحفوظ بيدي )

وهذه حرفية صك الامير حسين شهاب باعلان رضاه عن تسليم الدير للرهبان بحسب العادة المرعية في تلك الايام.

وقد اجازه الامير بشير شهاب الحاكم العام: يعمل بموجبه من غير خلاف .

كاتبه

( الختم ) بشير شهاب

وجه تحرير الاحرف :

انه حين انعرض لدينا امرارًا عديدة عدم السير المرضي والخصومات التي نشأت من سكان دير الرومية وعجزوا رؤساء دياناتهم عن اصلاح احوالهم وبعد الفحص الكافي اتضح لنا ذلك من دوساهم ولاجل حسم هذا النزاع ورفع الخصام من بين رعايانا قد سلمنا الدير المذكور (للرهبان اللبنانيين) بجميع ما يعرف به من املاك ومواشي واثاث وكلي وجزئي مثل بقية الاديار المعروفة بهم واعطيناهم بان لا نتعرضهم في دياناتهم ولا نبدلهم بغيرهم ولهم منا الحماية والصيانة . ويوردوا مال الميري المرتب على الدير المذكور واعطيناهم هذا السند لاشهار خاطرنا وصدّ كل معارضة .

تحريرًا في اواخر شهر رجب سنة ١٢١٨

(الختم) حسين شهاب

(عن الاصل وهو بيدي)

وهذه حرفية العريضة التي رفعها الشيخ جرجس باز مقدام ديوان احكام جبل لبنان الى اصحاب النيافة كرادلة مجمع نشر الايمان المقدس وقد ضمنها الشرح الوافي عن حالة دير الرومية وما اجراه من التدابير لاصلاح حاله .

ايها السادة الكلي السمو :

انه من حيث انعطاف واستمالة خاطر هذا الكرسي الرسولي المقدس نحو طائفتنا المارونية واظهار الحب الابوي لنجاحها ونمو غرس وردها ما بين اشواك الاضطهادات والامم الغريبة بتلك الارشادات الابوية الصادقة والمودة القلبية الواثقة من حين وجودها الى الآن . ثم وخضوع هذه الطائفة وامتثالها وتخصيصها التام لديوان هذا المجمع المقدس .

قد نودّ ونجتهد دائمًا في ملاشاة زؤان الخلل من بين حنطة الاستقامة ولا نروم سوى الطاعة وحسن السلوك المرضي مما يزيد هذه الطائفة رونق الاعتبار الروحي باتمام واجبات الرسوم الارثوذكسية من كامل الامور والقوانين الكنائسية سيما وعلى الخصوص نظام الاكليروس والرهبنات اذ انهم المصباح ونور العالم وبهم يقتدي الشعب المسيحي الماروني وغيرهم من جماهير الطوائف الكاثوليكية .

وبحسب وجودي بالنعمة المعطاة لي من لدن واهب النعم والخيرات بصالح دعاكم المستجاب اذ انني وتنفذ المتقدم على هذه الطائفة بل على كافة الطوايف في جبل لبنان وما يليه بحسن انظار سادة افنديانا الامرا الافخمين .

وجب عليّ ذمة وشرعًا بان اغار مجتهدًا على تتميم اوامر مجمعكم المقدس ونظام كرسي طائفتنا المارونية ورفع كل شائبة وعادة سيئة من هذه الطائفة وغيرها سيما وبنوع خاص ان

ازيل والاشي تلك المادة السيئة الغير المحتملة وهي وجود الاديرة المضاعفة للرهبان والراهبات في طائفتنا الامر الذي هو بعيد بعداً كلياً عن روح الكنيسة ومرفوض ليس فقط من رسوم المجمع اللبناني بل من كل القوانين المقدسة .

وقد برز جملة اوامر وتحديدات من مجمعكم المقدس في شأن هذه الاديرة ومن بعضها اوامركم الرسولية المبرزة في شهر حزيران سنة ١٧٩٠ ولم تزالوا ترسلوا اوامر من مجمعكم المقدس في اصلاح هذه المادة وانه ان لم نصطلح تتلاشى الاديرة المذكورة .

وجذه الاوقات من بعض هذه الاديرة انوجد دير يعرف بدير مار جرجس الرومية من معاملة كسروان ما برح قط بالسجس والشكوك المتراكم والمتواتر حتى ان رهبانه وراهباته ابتليوا (ابتلوا) بالانقسام وتركوا الرسوم الرهبانية وتقلدوا بالانواع العالمية مثل اختصاصات وعوائد سيئة وكل واحد منهم خصص لذاته محلات وراهبات .

وما زالوا يقدموا الدفائع للحكام لاجل الحصول على الرياسة وقهر اخصامه[1] من رهبان وراهبات واستعملنا كل الوسائط لكي تهذب رهبانه وراهباته تارة عن يد السيد البطريرك وتارة عن يد اسقف الابرشية . فلم يتم ذلك بل قد ترايد انقسامهم لغاية صالحة يريدها الله . إذ قد التجوا الى حضرة اب عام ومدبرين الرهبانية البلدية اللبنانية بان يتسلموا ديرهم ويصلحوا نظامهم .

ولما انعرض لنا هذا الامر انسرينا جداً من كون هذه الرهبانية المذكورة مزينة في حفظ القوانين الرهبانية سايرة في مناهج حفظ الرسوم والكمالات المسيحية ناجحة بالاعمال الصالحة وقيام الاديرة والمدارس لخير الطائفة بكلما يجب ويُستحب ويرضي .

ومن بعد وقوفنا على رضى قدس السيد البطريرك ورضى مطران الابرشية . أيدنا الرهبان اللبنانيين المذكورين في تسليم دير الرومية المذكور . ومنعنا عنهم ساير الاضرار والموانع اذ اني بعون الله لا اعجز عن ذلك خاصة بقيام العدل الكنايسي العايد لخير الطائفة لان اولئك الرهبان المطرودين كما صرّحنا ما برحوا بارشاد البعض من اعداء الخير من الطائفة يلتجوا الى الحكام الاميين والدروز وارشوهم في بالغ باهظة لكي يرجع اليهم الدير ويكملوا خرابه . ولكن بصالح دعاكم وعدل مجمعكم المقدس ابطلنا مقاصدهم ولم ينالوا ارجهم وقد الزمنا الرهبان اللبنانيين المذكورين في تسلم الدير المذكور لاجل الخير العام والتزموا بوفاء الدين المترتب على الدير واداء معاش كافي للرهبان والراهبات .

فالمرجو من حنوكم الابوي انفاذ اوامركم المقدسة بتأييد هذا الامر بموجب براءة رسولية للرهبان اللبنانيين المذكورين تعلن رضا مجمعكم المقدس واثبات تسلم الدير المذكور بيدهم بنوع كافٍ يزيل كل مانع ومعترض حسب الرسوم الكنائسية والقانونية .

---

[1] الضمير راجع لكل منهم .

ثم نرجو ايضاً ابراز حكم رسولي في ملاشاة هذه العادة السيئة اعني الاديرة المضاعفة المشتركة مع الرهبان والراهبات على الوجه المشروح لان وجودهم ليس منه نتيجة سوى مزيد النجس والشكوك وقد صرنا هزءاً لجيراننا .

ثم نرجو سيادتكم بان تختموا بالامر الرسولي القاطع انه اذا كان كرسي طائفتنا البطريركي في احد هذه الاديرة المضاعفة يكون خالياً من وجود رهبان وراهبات على منوال احكامكم الرسولية السابقة ونحن مستعدون بكل رغبتنا اتمام نفوذ اوامركم المقدسة بكل تدقيق . وانا بكل اعتبار اقدم ذاتي لنيافتكم وتشييد اوامركم الرسولية .

جزر في ١٥ نيسان سنة ١٨٠٤

تلميذكم الكلي الخضوع جرجس باز

(ختم) مقدام ديوان احكام جبل لبنان

( عن الاصل المحفوظ بيدي )

من مطالعة قرار السيد البطريرك وصك الوقف وصك اعلان رضا الامير حسين وعريضة الشيخ جرجس باز الى المجمع المقدس ينتج :

اولاً : استحكام اسباب الخلاف بين الرهبان والراهبات سكان دير مار جرجس الرومية المذكور .

ثانياً : انقسام بعضهم على بعض واختصاص كل فئة منهم باشخاص واماكن ومداخيل بذاتها دون غيرها .

ثالثاً : بيع بعض املاك من الدير المومأ اليه فوق مداخيله ودفعها للحكام الباليين الاميين للترأس على الدير نكاية بالآخرين .

رابعاً : ان تداخل الرؤساء باصلاح الشؤون لم يكن منه نتيجة لاستفحال الخلاف بين الفئتين .

خامساً : شهادة حسنة بتصرف الرهبان اللبنانيين وحفظهم الرسوم الرهبانية وبما يبذلونه من الاتعاب والمساعي الحسنة في سبيل الدين والطائفة .

— ولما لم تنجع الوسائط التي استعملها الرؤساء لاصلاح الخلل المذكور ، وكانت الاوامر الرسولية ملحة بوجوب فصل الاديار المزدوجة او بلاشاتها تماماً ان لزم الامر ، ارتضى فريق من عائلة صفير اتقاماً لاوامر رومية ، ورفعاً للشكوك الصادرة عن سوء تصرف رهبان هذا الدير وراهباته ، فسلموه للرهبانية اللبنانية . عندئذ اصدر السيد البطريرك قراره بذلك ووافق الحاكم العام على

اعلان رضى الحاكم الاقطاعي الامير حسين شهاب . وعليه تقرر هذا التسليم . واستعدَّ الشيخ جرجس باز رئيس ديوان حكومة جبل لبنان لمخاصمة من يعارض ذلك .

ولما تسلّم الاب العام الدير المشار اليه ، باشر حالًا نقل الراهبات اللواتي شئنَ الانتماء الى رهبانيتنا اللبنانية ، الى اديار الراهبات . والراهبات الاخريات وضعهنَّ في محل مناسب بعيد عن الدير وامر لهنَّ بتقديم المعاش اللائق بامثالهنَّ . ثم سعى لايفاء الديون المستحقة على الدير واسترجاع ما بيع من املاكه بقدر الامكان .

ثم باشر بناء جديداً لسكن الرهبان وكل ذلك واضح من لائحة المصاريف الآتي ايرادها .

ولما لم تكن حاصلات الدير كافية للقيام بهذه الاعمال الخطيرة حصلت مساعدات من اديار الرهبانية ومن وظيفة الرئاسة العامة .

وفي هذه السنة ١٨٠٤ لبس الاسكيم الرهباني ونذر النذور الاحتفالية الاخوة :

نعمة الله الفتوح . وافرام المرقباوي . ومارون البعبداتي بعمر ١٨ سنة وهذا الاخ اشتهر بالادارة وقد اقتنى الاملاك الواسعة لدير قزحيا في جهات الزاوية وكان له الفضل على المطران يوسف الدبس ( يوم كان فتى تحت يده في كفرزينا ) .

وتوفي الاخ اثناسيوس البعبداتي . والاب مارون البشراوي . والاب مرقس الكفاعي المدبر الثاني الشهير وله من العمر ٨٠ سنة .

( عن روزنامات الاديار )

راجع ما كتبناه عن حياة هذا الاب المفضال واعماله في حوادث سنة ١٨٠١ من هذا التاريخ فصل ١٠ عدد ١٠٤ فترى ان خسارة الرهبانية بوفاته كانت عظيمة انما كان لها اعظم تعزية باعتقادها ان نفسه البارة قد حصلت دون شك ، على السعادة الخالدة .

وهناك تساعد الرهبانية بتوسلاتها الحارة امام العزة الالهية اضعاف ما كانت تقدر عليه في حياتها الجسدية .

## الفصل الثاني عشر

عدد ١٠٨

وفي سنة ١٨٠٥ صدر امر الكرسي الرسولي بارجاع دير مار جرجس الرومية الى اصحابه عائلة صفير بعد ان تسلّمته الرهبانية على ما ورد في العدد السابق. واما الاسباب التي اوجبت صدور الامر بارجاع هذا الدير لاصحابه فهي مدونة في الافتاء المعطى من المطرانين يوسف اسطفان ويوحنا مارون النائب البطريركي وهذه حرفيته :

ما قول العلماء بالشرائع الكنائسية في دير راهبات معروف بعائلة لهم عليه الولاية الشرعية القانونية . ويوجد بهذا الدير من العائلة بعض كهنة قائمين بالخدمة اللازمة واحدهم وكيل عليه برأي الجميع ويتعاطى الوكالة بموجب القوانين . وقع اختلاف بين هؤلاء الكهنة على الوكالة وكل منهم يريد الوكالة لنفسه . فاستبان للوكيل القائم بان اسقف الابرشية يريد عزله ويوكل غيره فرضي هكذا الوكيل بان يسلم الدير المذكور الى رهبنة قانونية وكتب الى اب عام الرهبانية بشأن ذلك لاجل مقاهرة باقي الكهنة الموجودين وطلب من الاب العام بعض شروط تخصه .

وقبل ان يصير التسليم رجع عنه واتفق مع باقي كهنة الدير . وعُرّف الاب العام عن رجوعه عن رضاه السابق وانه لا يريد تسليم الدير للرهبنة فما قنع الاب العام بذلك بل تسلّم الدير المذكور باقتدار ذوي شوكة من دون رضى سكان الدير ومن دون رضى جمهور العائلة ذات الولاية الرسمية . وقدس السيد البطريرك ومطران الابرشية مع بعض اساقفة الطائفة قد اثبتوا للرهبنة تسليم الدير بدون مسوّغ شرعي بل بمجرد امر حاكم السياسة .

## الجواب

انه واضح لدى الجميع بان التسليم والتسجيل ليس هما قانونيين وشرعيين لكونهما ناتجين عن الخوف والاغتصاب اللذين ينفيان الاختيار اللازم وجوده حتى ولو رضي بعض العائلة بهذا التسليم لان رضى البعض لا يوجب رضى العائلة

كلها ولا ينقل حق التملك لان الاوقاف لا يجوز نقلها او تحويلها من خير الى خير ولو كان أعظم ، الا برضى ذوي الولاية الشرعية كما هو محرر في القوانين المقدسة الكنائسية فاذًا . . .

ان ما جاء في سؤال طالب الافتاء المدرج آنفاً عن كيفية اسباب صدور الوقف على الرهبانية وتخلف الرهبان عن ترجيعه الى اصحابه يخالف على خط مستقيم لما جاء في اوراق السيد البطريرك والحكام وصك الوقف عن الاسباب الداعية لتسليم الدير الى الرهبانية . فكيف يوفق بينهما : فالذي اراه ان اسباب الخلاف التي حصلت ما بين الرهبان سكان الدير قد اتخذها الرؤساء سبباً لاجراء ما اجروه . وقد اعتمدوا ايضاً بوجه خاص ، على اوامر الكرسي الرسولي القاضية بالاشاة الاديار المزدوجة تلك التي لا تسلّم بالفصل اطاعةً للاوامر الرسولية . وان طالب الافتاء قد تجاوز عن ذكر ما لا يوافق مطلبه لذلك حصل الخلاف في الرواية .

فائتماراً بالاوامر الرسولية عوّل آباء الرهبانية على ترك دير الرومية وارجاعه الى اصحابه . ومن ثمّ تمّ الاتفاق بين الأب العام والخوري يوسف صفير والقس جرمانوس صفير على شروط تتضمن كيفية التعويض على الرهبانية بدل اتعابها في الدير وهذه حرفية الاتفاقية :

سبب تحريره

هو انه نحن المدونين اسامينا قد ارتضينا مع قدس الاب العام القس عمنوئيل الجميل الكلي الاحترام من ثمّ العمارة التي عامرها والدّين الذي وافيه عن ديرنا الرومية نثمن له فيه رزق سمر الحمل الورق في نمر الصليب بخمسة وعشرين قرشاً . وفي القليمات بثلاثين قرش . والصنوبر والسليخ على ذمة المخمنين والحرش الذي في النهر نعطيه اياه نظير اتعاب الحجارين (الرهبان) بالعار . وهو يرجّع ديرنا لتسليمنا .

ومن ثمّ دخل الدير وخرجه نحن قد سلمنا لذمة الاب العام يأخذ حساب من رئيس الدير انكان فاضل شي للدير وان كان باقي نلتزم في وفاه .

ولاجل البيان حررنا له هذا السند بخاطرنا وتمام رضانا تحريرً في ١٥ آب سنة ١٨٠٥ صح صح . ومن ثمّ الراهبات الذين في ديورة الاب العام التي ما تريد ترجع لعندنا نعطيها معاش وقد ارتضينا بذلك .

كاتبه  كاتبه

القس جرمانوس صفير  الخوري يوسف صفير

( عن الاصل المحفوظ بيدي )

وفي اوائل شهر تشرين الثاني انتهت المحاسبة واخذ بها الاب العام تعهداً للعمل بموجبه وهذه حرفيته :

سبب تحريره

هو انه قد تحاسبنا نحن وحضرة الريس العام الاب عمنوئيل الجميّل على الذي نفذ من يده من وفاء الدينون واستفكاك الرزق ومعاش الراهبات وميّر (المال الاميري) عتيقه . والذي نفذ من يده على الدير بلغ ١٣٣٠٥ ثلاثة عشر الف وثلاثماية وخمسة قروش

واننا نشتّن له رزق فيها في نحر الصليب على القاطعين وان ما قدّى (كفى) نكمل له بالفليمات وان ما قدّى في الشطوح . والعواد مع كرومهم وسليخهم . والسليخ الذي بين ارض الدير نعطيه عوضه مطرح منحدف .

ومن ثم الميري يشدّنّس رزق الدير وقدر ما يطلع ميري على الرزق يدفع حسب ميري الدير . هيك صار الرضا والاتفاق بيننا وبين الاب المذكور صح حرر في ت ٢ سنة ١٨٠٥

قابلين على انفسهم

القس جرمانوس الخوري يوسف

صغير صغير

( عن الاصل وهو بيدي )

ومبلغ الثلاثة عشر الف والثلاثئة والخمسة قروش ، المورد آنفاً قد تحرَّر به مفردات بموجب لائحة ارقها هنا بمفرداتها تفكهةً للقراء ولمعرفة ما كانت عليه الاسعار ونوعية المعاملات في تلك الايام .

وهذه هي اللائحة بحرفيتها :

| بارة | غروش | |
|---|---|---|
| ١٠ | ٦٣١ | فرش ( اثاث ) ومصروف |
| ٢٠ | ١٦ | ثمن ملح |
| | ١٨ | للراهبات |
| | ١٨ | خرج عن يدنا |
| | ٩ | ثمن نصب توت |
| | ٦٥ | ثمن ثلاث اكيال قمح |
| | ٧ | مبرة عودة صربا |
| ٣٠ | ٧٦٤ | - المجموع |

| بارة | غروش | |
|---|---|---|
| ٣٠ | ٧٤٤ | ما قبله |
| ٢٠ | ٨ | ملح وعليق دابة |
| | ١٢ | للراهبات على مرتين |
| ٢٠ | ٣٦ | ثمن بزر من شاهين القاموع |
| | ١٥٠ | الى سعد بو صعب |
| ٣٠ | ٣ | كري فعاله |
| | ١٠ | خرج |
| | ٤ | عاف للبقر |
| | ٣٤ | ثمن زيت |
| | ١٨ | حليب |
| | ٣٠٨ | ثمن فرش ونصف قفة رز |
| ٢٠ | ٢٢٤ | ميري عن عام ماضي |
| | ١٦ | ثمن زيت |
| | ٣ | مصروف |
| | ٣٣ | وفاء دين لمارون الديك |
| ٢٠ | ٣ | للاب جرمانوس وخلافه |
| | ٥٤ | ثمن قمح من فالوغا على مرتين |
| | ٤٠ | خرجية للاب جرمانوس على ثلاث مرات |
| ٢٠ | ٤ | ثمن حصر |
| | ٣٦ | كري فعاله |
| | ١٥٠ | ايضاً كري فعاله |
| | ٣١٠ | ثمن قمح من فالوغا والبقاع |
| | ٣٠ | ثمن شعير |
| | ٤٠٠ | كلف الاتون |
| ٢٠ | ٣ | ثمن خضرة |
| | ٢٨٧ | وفاء دين لحرمة الشيخ قمدان |
| | ٥ | « « الى حسين الشريك |
| | ٢١ | « « لمنصور الخوري من ريفون |
| ٢٠ | ٢٩٤٠ | المجموع |

| بارة | غروش | |
|---|---|---|
| ٢٠ | ٢٩٦٠ | ما قبله |
| ٢٠ | ٢٣٠٣ | استفكاك رزق من حنا صيدح |
| | ١١٠ | ثمن نصب |
| | ١٥٠ | لاسعد بو صعب بار جنابه |
| | ٥٥ | الى رفاق المذكور |
| | ٢٠٠ | خرج عن يد الاب المدبر سمعان عن دراهم اديرة بلاد جبير |
| | ٩٠ | الى بيت صفير خليفة وواكيم ورعي وماجا |
| | ٣٠ | وفا دين للشيخ قبلان الخازن |
| | ٨ | وفا دين ليعقوب من زبوغا |
| | ١٣٠ | الى الراهبة سوسان صفير |
| | ٢٦٠ | الى الاختين ترازيا وشموني صفير |
| | ١٠٠ | الى الراهبة هيلانة |
| | ٩٩ | الى حداد المزرعة |
| | ١١ | الى مراد من ميروبا |
| | ٩ | « علام من القليعات |
| | ١٠٠ | « شاهين القاموع |
| | ٣٣ | « عباس شريك الدير |
| ٢٠ | ١٧ | « خضرا الراعي |
| ٢٠ | ١٧ | « بسمعان شماس المطران بطرس |
| ١٠ | ١٨ | « جواد ثمن لحم |
| | ٧ | « الياس وفا دين |
| ١٠ | ٣٦ | « طنوس الحداد من غزير |
| ٢٠ | ٤٩ | « الياس المكيس |
| | ٤٤ | « ابراهيم من النهر |
| | ٤ | « البدوي من القليعات |
| ٢٠ | ٩ | « قلاووس من عجلتون |
| ١٠ | ٧ | « ابراهيم الشمالي |
| | ١٤٨٠ | استفكاك رزق من يد ابراهيم ساده |
| ٣٠ | ٨٣٠٩ | المجموع |

| بارة | غروش | |
|---|---|---|
| ٣٠ | ٨٣٠٩ | ما قبله |
| | ٣٥٠ | ثمن بغل |
| | ٧٢ | « قمح من مار مخايل ومار موسى |
| | ٦٠ | « « وحمص وبرغل من مار سابين |
| | ٣٦ | « شعير وسمن وزيت وشمع من طاميش |
| | ١٢١ | من مدرسة بحرصاف والكحلونية والناعمة ورشميا وسير وبير سنين |
| | - | زيت وغلي (غلّة) |
| | ٦١٦ | خرجيه للاب بولس وخدامه مفرقة بخصوص الدير |
| | ٦٨ | كسوة للخوري سمعان |
| | ١٥ | وفا دين للمطران اغناطيوس |
| ٢٠ | ٥٢ | اجرة فعالة ليد الاب رنينوس |
| | ٣٥ | الى الاب جرمانوس صفير |
| | ٩٠٠ | وفا دين لابراهيم النقاش |
| ٣٠ | ٢٠ | « « انطونيوس الحداد من غزير |
| | ١٢ | للاب جرمانوس ثوب صوف |
| | ٢٠٠ | الى الشيخ عقل |
| | ١٩٠ | وفا دين الى بو حاتم صفير |
| | ٢٠٩٨ | « « واستفكاك رزق الى حنا صيدح |
| | ١١٠ | ثمن جوز بقر من الشيخ عبس |
| | ١٠ | اجرة حرير لطنوس مفرج |
| ١٠ | ٣٣ | ثمن نصف غرارة صنوبر |
| ١٠ | ١٣٣٠٥ | المجموع |

( عن الاصل المحفوظ بيدي )

فيكون اجمال الدين الذي وفاه آباء الرهبانية بحسب مفردات اللائحة ، ٢٨٠٨ قروش . واجمال المال المدفوع لاسترجاع الرزق بحسب مفردات اللائحة ٥٨٨١ غرشاً المجموع ٨٦٨٩ غرشاً وما بقي ٤٦١٦ تتمة مصاريف الدير . ينتج من هذه اللائحة ثلاث نتائج :

اولاً : قيام آباء الرهبانية بكل الشروط المفروضة عليهم بكل دقة وسرعة .

ثانياً : عظمة اهتمام الرؤساء بالاعمال العائدة لخير الدير ونموه

ثالثاً : وضع الاهتمام بالعمل بدون تأخير كايفاء الديون واسترجاع قسم من الاملاك المباعة والشغل فيها وتشييد البناء اللازم في الدير لراحة سكانه .

ويستفاد ايضاً منها شدة اهتمام اباء الرهبانية بنتيجة اوقافها وان هذه الاوقاف ما كانت وما حفظت حتى الان الّا بفضل حرصهم على الزمان بالعمل اليدوي المتواصل وعيشتهم القشفة .

وفي هذه السنة ١٨٠٥ وقفت وقفاً نافذاً السيدة ماري سوسان ارملة الخواجا جرمين الافرنسية الاصل ، على دير مار انطونيوس قزحيا عن يد رئيسه الاب اغناطيوس بليبل ، نصف ما تملكه من اصل نصف قرية عشاش المتصلة اليها بالشراء الشرعي من الشيخ لطوف الضاهر . ثم اوقفت في نفس الوقت ، النصف الآخر وقفاً مؤجلاً الى ما بعد وفاتها وهذه حرفية الصك الاول :

انه حيث ان الموت هو حق وواجب كقوله العزيز جلّ شأنه تعالى ، بعدم معرفة المحتوم اي عدم معرفة ذلك اليوم وتلك الساعة ؛ واذ رأيت حالتي انا الحقيرة المدونة اسمي ادناه ، بانني معدومة الخير وليس لي امل بمن يخلص لي ذمتي بعد انقضاء حياتي ووقوفي امام الديان العادل ، قد حركتني يد المعونة الالهية من تلقاء ذاتي وصحة عقلي وجسمي ، من غير رغم ولا ارشاد ، قد اوقفت نصف ما يخصني وملكي بموجب الحجج التي بيدي بنصف قرية عشاش شركة جناب اولاد المرحوم الشيخ لطوف الضاهر ، من توت وكروم وزيتون وطاحون ومختلف وعمار عامر ودائر وكلي وجزئي ، اعني نصف ما ينوب بي من القرية المذكورة ؛ بموجب السندات والقوائم ، الى دير القديس مار انطونيوس قزحيا دير الرهبنة اللبنانيين ، وقفاً مدبداً مخلداً ؛ وذلك لاجل الذكر الصالح عن نفسي ونفس والديَّ ، ليبقى لنا الاشتراك في المواهب الروحية المعطاة للمحسنين الى هذا المقام المبارك .

ومن ثم قد اوقفت ذلك بكل شوقي وتمام رضاي الطوعي العاري عن كل التباس . وقد بقي كل ما يخصني بالقرية المذكورة اي نصف تملكي وما يختص اليَّ ايضاً جا ، بتصرف حضرة ابونا رئيس الدير الاب اغناطيوس بليبل ومن يعقبه من حضرة الآباء رؤساء الدير المذكور ، يتصرفوا فيه كباقي املاكهم ووقوفاتهم حيث يشوا ويريدوا .

وقد سلمت لحضرة الاب الرئيس المشار اليه كامل السندات والحجج التي بيدي بخصوا المحل المذكور .

واما الاموال الاميرية يدفعوا ما يخصهم كما هي سنة ( محددة ) في الحجة . واي من تعارض هذه الوقفية بنوع من الانواع او بوجه من الوجوه .

نسأله تعالى ان لا يكمل سعيه والقديس مار انطونيوس صاحب المقام يكون خصمه دنيا وآخرة . والويل ثم الويل ان هو قبل على نفسه ذلك .

وقد تحررت هذه الوثيقة بحضورنا في الدير المذكور وذلك في صحة عقلنا وجسمنا . وأذنا بالاشهاد علينا . ونعرض على جناب السادات الكرام قضاة وافنديه ذوي احترام .

صح تحريرًا في ٥ تشرين الاول سنة ١٨٠٥ مسيحية .

قابلتها على نفسها

ثم اسمها بالافرنجي سوسان المداما

جرمين

شهود الحال

محررها بيده انطونيوس بنينو (الختم) انطونيوس الشدياق (الختم) موسى الخوري

(الختم) سليم شهاب (الختم) سعد الدين شهاب (الختم) حسين شهاب

صح قد حضرت امامنا ابنتنا سوسان المداما جرمين واستقرت بما هو محرر بباطن هذه الحجة الوقفية . وان قد تم ذلك وتحررت هذه الوقفية بتمام رضاها واختيارها الطوعي . فمن بعد ان صرحت بذلك امامنا آذنتنا بالاشهاد عليها لاجل توضيح ارادتها .

ولذلك فنشهد بصحتها ونحكم باثبات هذه الوقفية . ولتكن شرعية ولا عاد يسوغ الرجوع بها . صح .

(الختم) الحقير جرمانوس ثابت

مطران جبيل والبترون

قد اقرت قدامنا ابنتنا سوسان المداما جرمين بصحة هذه الوقفية وانها تمت برضاها وتمام ارادتها من غير اكراه ولا الزام، بل انها محبة لمجد الله الاعظم واكرامًا لشرف القديس مار انطونيوس، قدمت ذلك عن نفسها ونفس والديها ورجلها وابنها . وآذنت لنا بالاشهاد عليها . فمن ثم شهدنا بصحة هذه الوقفية ونقول انها شرعية يعمل بموجبها . صح .

(الختم) محرر الاحرف

الخوري يواكيم يمين

وهذه حرفية الصك الثاني :

الداعي لتحريره .

انه قد اوقفت نصف ما يخصني بقرية عشاش بموجب الحجج والسندات التي بيدي شركة جناب المشايخ اولاد المرحوم الشيخ لطوف الضاهر ، بموجب حجة وقفية مني لدير مار انطونيوس قزحيا .

والنصف الثاني الباقي لي قد قبلت وارتضيت ان يكون في يد الاب اغناطيوس بليبل ومن يقيمه من حضرة الآباء رؤساء الاديرة اي دير قزحيا المذكور ويديروه بحسبة ارزاقهم ويضبطوا جميع المداخيل من حرير وارض وطاحون وكروم وزيتون ومختلف وعمار وكلي وجزئي ، يتورد لنا ما يخصنا من بعد قطع الميري والاكلاف والاغلال المذكورة ، معاش لي في زمان حياتي .

وبعد مماتي يكون هذا النصف الثاني الذي يخصني ، وقفاً مؤبداً مخلداً الى الدير المذكور ويصير ما يخصني بالمطرح المذكور بكامله وقف ( وقفاً ) للدير يتصرف فيه رئيس الدير المذكور كباقي املاكه وارزاقه ولا يعارضه معارض . وقبلنا ذلك بخاطرنا وتمام رضانا .

وسلمنا حضرة رئيس الدير حجج قرية عشاش وكامل سنداتها الذين بيدنا وعلى ذلك وقع الرضا وصح الاشهاد .

تحريراً في ٥ ت ١ ١٨٠٥ قابلة على نفسها

( ثم اسمها بالافرنجي ) سوسان المدابا جرمين

شهود الحال

محرره الخوري يواكيم (ختم) موسى (ختم) انطونيوس (ختم) محرره انطونيوس بنينو يمين الخوري الشدياق

(ختم) الحقير جرمانوس ثابت
مطران جبيل والبترون

( عن الاصل المحفوظ بيدي )

اما كيفية اتصالية هذه الاملاك الى السيدة سوسان المذكورة ، من الشيخ لطوف الضاهر واسباب وقفها هذه الاملاك على دير مار انطونيوس قزحيا، فالى المطالع شرحها كما دونها الاب اغناطيوس سركيس البعوتي في السجل العام الذي انشأه للرهبانية في السنة ١٨٣٩ بامر الرئيس العام الاب عمانوئيل الشبابي . ( وهو الآن محفوظ في خزانة الرئاسة العامة رقم ١ ص ١٩١ ) — وقد اشرنا الى

هذا السجل في سياق هذا التاريخ مرارًا — في باب تسجيل صكوك هذه الوقفية واوراقها . وهو ثقة في كل ما حرره بهذا الخصوص :

١ : لصدقه بالنقل .

٢ : لوقوع هذا الحادث في عصره .

٣ : لانه هو الذي اقيم محامياً عن الرهبانية في هذه الدعوى ، بامر الرؤساء ، لما اقام الدعوى بعض اقرباء السيدة الواقفة بعد وفاتها كما سيأتي . وبما ان هؤلاء اقاموا عدة دعاوى باوقات متفاوتة ، رأيت من اللازم ان اسرد جميع الحوادث استطرادًا ، بدون ان اراعي سياق حدوث تاريخ الدعاوى اما الشرح عن اتصال تلك الاملاك بالسيدة سوسان وعن اسباب وقفها فهذه حرفيته :

« اعلم انه في تاريخ خمسة ايام من شهر تشرين الاول لسنة الف وثمانمائة وخمس للتجسد الالهي ، قد تصدقت واوقفت الحرمة التي تسمى ماريا سوسان ارملة الخواجا جرمين المولودة في مدينة حلب الشهباء من يوحنا انطونيوس روزا من مدينة مرسيليا .

ووالدتها التي تسمى ترازيا كونتي من البندقية وزوجها ريشا جرمين المار شرحه . فهذه المذكورة ، بموجب حجة شرعية ممضاة تحت ختم واشهاد وقضاة وسادة بعض امراء شهابية حكام البلاد واعيان مشهورين بجبل لبنان ووكلاء وقناصل فرنساوية ، أعطت هذه الحرمة المذكورة الى الرهبان فقراء دير قزحيا بوجه الوقف الصادر الشرعي ، نصف قرية عشاش الشهيرة بقرب مدينة طرابلس الشام المربوطة تحت ولاية حاكم جبل لبنان من معاملة الزاوية . وايضاً بموجب حجة ثانية من كونشلارية فرنسا في طرابلس الشام ذاتها في ٢ كانون الاول سنة ١٨٠٩ .

وكيفية ذلك :

هو ان هذه الحرمة المذكورة هي ارملة رجل فرنساوي كانت ساكنة في مدينة طرابلس الشام المذبورة . وكان لها كمية دراهم معلومة بذمة رجل يسمى لطوف الضاهر من مشايخ الزاوية .

فهذا الرجل قد اعطى وملك نصف قرية عشاش المذكورة التي هي من متملكاته الشرعية ، الى الارملة جرمين المذكورة ، الاملاك المشتملة على اغراس توت وزيتون وفواكه وعريش وبري وجوي وارض سليخ ومشاع وعمار وطاحون وماء وهواء ومجالات ومنتفعات ومشتملات وكلي وجزئي .

وقد حصل هذا التملك المسطور لهذه الارملة من الرجل المذكور بوجه الشراء الشرعي بموجب بيانات شرعية لدى قاض . وذلك وفاء عن قيمة مبلغ الدين المرظف بذمته . فتوت المرأة المذكورة على نصف قرية عشاش . سنوات معلومة . وبما انها امرأة فرنساوية لا يمكنها تملكات ارزاق وعقارات ثابتة بهذه الديارات الشرقية .

ومن جهة اخرى رامت بارادة تقوية وارادة روحية ان تحبس هذه الرزقة نفسها للتذكرة المؤبدة الخيرية بوجه الوقف المؤبد باسم الفقراء المار ذكرهم.

فحينئذ اقرت هذه الحرمة عينها لدى قاضي بما هو تمام ارادتها الطوعية ومشيئتها الاختيارية وآذنت بالاشهاد على قرارها برضا اختياري انها اوقفت وتصدقت وأخرجت من ملكها الرزقة المشهورة بقرية عشاش المار شرحها المشتملة على سائر الاغراس والاشجار والفواكه والارض والعمار والمياه عن كل ما يعرف بها للفقراء المذكورين . واجرت غب الرضا البيانات والصكوك الشرعية وسلمتهم اياها وصرّفتهم التصرف التام .

وقد ربطت الحرمة على الرزق معاشها بنوع معلوم، تتناوله بوجه الاباحة مدة حياتها من الموقوف عليهم . وان الاموال الاميرية المربوطة على هذه الرزقة تطلب من الفقراء المذكورين حسب مطاليب الحكام .

واشهدت على اقرارها الشرعي القنصل الفرنساوي الموجود وقتئذ بطرابلس الشام وسجل على اقرارها بصحة الوقف . ومثله من انام شتى من ابناء بلادنا الشرقية وفرنساوية ايضاً .

وغب ذلك كله قد قبل الرهبان المذكورون هذا التملك وتوظفت عليهم الاموال الاميرية . وتمّ التسلم والتسليم . وتسلّم الرهبان الصكوك باللغتين العربية والافرنجية. وعاشت هذه الارملة، بعد عقد هذا التملك نحو اثنتي عشر سنة . وبكل عام كانت الارملة المذكورة ماريا سوسان تجدد وتشدد رضاها عن هذا الوقف .

وبنهاية الاثني عشر سنة تولاها خالقها وكان ذلك في سنة ١٨١٧ .

ثم وباثناء وفاتها حضر كتابة من جناب قنصل طرابلس الشام الافرنسي وقتئذ وهو موسيوهرينو، مؤرخاً في اول شهر تشرين الثاني لسنة ١٨١٧، الى قدس

الاب اغناطيوس بليبل الرئيس العام وبه يطلبه (القنصل) لـديه مع الاوراق والحسابات والبينات التي تخص وقف الارملة المذكورة، وهو نصف قرية عشاش.

فالاب العام المذكور قد حضر لموافاة القنصل نفسه وطلب منه سببية احضاره لديه. فاجاب القنصل:

ان ماريا ارملة جرمين لقد نكثت بوقفها وغيّرت بعطيتها الرزقة اي نصف قرية عشاش لدير مار انطونيوس قزحيا وكان ذلك قبل وفاتها.

فاجاب الاب العام شارحاً له واقع الحال وكيفية هذا التملك واطلعه على حجج الوقف وصكوك وبيانات التملك، موضحاً له صورة الواقع تماماً.

فحين شاهد القنصل المذكور كل ذلك وتمعن بجوهر الامر وحسن بناه واثباته شرعاً لدى قاضي، فلم يعطِ جواباً سوى ثبات حق التملك للرهبان فقراء دير مار انطونيوس قزحيا وتصريفهم وتملكهم هذا الشرعي.

وحالا وجه اعرض (عرض) كيفية هذه الدعوى الى متولي احكام دولة فرنسا عن كيفيّة رزقة عشاش وتمليكها للحرمة. وبعده صورة وقفها على دير مار انطونيوس قزحيا.

وبما انها امرأة فرنساوية وزوجها ايضاً فرنساوي، يفترض لصحة اعطائها ذلك، رضى الامبراطور. وبعـده ورد الجواب من الموصى اليه باسم القنصل المذكور يقول: «فهمت كامل شرحك واني وجهت اعراضك الى وزير امور الديانة التي تخصه هذه الوقوفات. فان جاوبني بشيء يضاد هذه الوقفية فافيدك عن ذلك، والا، اي ان لم يعطِ جوابه. فان هذا كافٍ لك».

وجرى ذلك بتاريخ ١٠ حزيران سنة ١٨٢٠

ومن ذلك الحين الى الآن، لم يحضر جواب قط ولا خطاب بهذا الشأن.

ثمّ انه من بعد ذلك بعدة ظهر اناس حلبيون يقال لهم بيت الكونتي زعموا انهم من اقارب السيدة جرمين من جهة والدتها وان لهم الامكان بالارث. مع ان المذكورة بحياتها وحين وفاتها اشهرت عدم حقهم بالارث من متروكاتها.

١ً: بما انهم اعقاء بحقها ومبتعدون عنها عَصَباً والارث يتعداهم.

٢ً: انها قطعت ميراثهم بحياتها بكمية من الدراهم معلومة منها. وبعد وفاتها حضر بيت الكونتي المذكورون وادعوا بذلك ورفعوا دعواهم الى محكمة

اكس السامية في فرنسا بزعمهم ان احد القناصل لم يمكنهم من ضبط الميراث. ومن بعد رفع دعواهم بمدة اتاهم جواب من المحكمة نفسها ليحضروا مع باقي خصومهم واعطتهم المحكمة مدة ستة اشهر ليحضروا بيّناتهم واوراقهم الموجودة معهم . ومن بعد مرور هذه الفسحة توجه المذكورون الى المحكمة نفسها في اكس وقدموا لها البراهين والبينات بمقتضى امكانهم واخيراً ظهر حكم هذه المحكمة عينها الى احد القناصل الموجود وتتنذر في اللاذقية يشرح هكذا :

« ان متروكات الارملة جرمين الملومة كميتها دراهم ٩٨٤٨٤ تسعة آلاف وثمانية وثمانية واربعين قرشاً وثلاثين مصرية . فهذه الكمية تحت طلب الورثة » .

وكان تاريخ رفع دعوى بيت الكونتي في ١٣ شباط سنة ١٨١٨ ومحكمة اكس اخرجت اشعاراً في ٣٠ حزيران سنة ١٨٢٣ واعطت لهم مهلة ستة اشهر غب هذا الاشعار والحكم الذي اخرجته كان باتاً قاطعاً مؤرخاً في ٢٦ ك٢ سنة ١٨٢٤ بان هذه الدراهم المار شرحها تقسم على بيت الكونتي .

وهكذا صار بموجب الامر الذي صدر من قنصلية اللاذقية الذي يعلن حكم اكس الاخير بتاريخ ٢٣ آب سنة ١٨٢٤ بان هذه المتروكات تنقسم بالسوا على عائلة كونتي كمنصوص الحكم الذي هم التمسوا اخراجه برفع دعواهم بدون ان يذكروا عشاش باي نوع كان ولا اتوا بذكر دير مار انطونيوس قزحيا حتى انه في حين رفع دعواهم وطلب الحضور الى محكمة اكس لم يحضر علم للرهبان فقراء دير مار انطونيوس قزحيا من المحكمة المذكورة ولا من الخصوم انفسهم وانصرف هؤلاء الانام بسبيلهم بموجب حكم اكس وتوزيع القنصل المذبور ( المذكور ) عن كمية المبلغ المتروك لهم .

واما في هذه البرهة فقد برز اناس منهم في حلب وشكوا امرهم الى نائب قنصلية حلب القنصل الفرنساوي على ايالة طرابلس بزعمهم ان يأخذوا نصف مزرعة عشاش من رهبان دير مار انطونيوس قزحيا . ويقولون ان رهبان دير قزحيا المار ذكرهم تملكوا نصف قرية عشاش بدون ارادة الملك الامبراطور الفرنساوي ، وان الحرمة جرمين المذكورة ابطلت وقفها حين وفاتها .

فحين قدم الخصوم هذا المعروض تقوى القنصل المذكور وفي الحال اجرى

كتابة باسم الاب مكاريوس «وادي شحرور» رئيس دير مار انطونيوس قزحيا حينئذٍ في شهر آب سنة ١٨٣٦ فحواها :

ان بيت الكونتي عرضوا له عن دعواهم بخصوص الرزقة نصف قرية عشاش انها معطاة لدير مار انطونيوس قزحيا بدون مسوغ شرعي بموجب الترتيبات الفرنساوية وأن مراد المذكورين ان يشارعوا في حلب بديوان القنصل نفسه بموجب الشريعة الفرنساوية . ويقول هذا القنصل المذبور لرئيس دير مار انطونيوس قزحيا المذكور انك تحضر اوراقك وبيناتك واحضر الى محكمتنا في حلب ، وان مضى اربعة اشهر بعد تحريرنا هذا ولم تحضر فانني ساخرج الحكم بموجب سماع الدعوى من خصمك . ولا افتقر لحضورك قط .

فمن ثمَّ عرض رئيس دير مار انطونيوس قزحيا هـذه القضية على الرئيس العام وقتئذٍ قدس الاب عمنوئيل المتيني الكلي الاحترام فالمشار اليه اقام وكيلًا شرعيًا اعطاه الوكالة المطلقة بمعاطاة هذه الدعوى محرره القس اغناطيوس سركيس.

فالقس المذكور وجّه مكتوبًا جوابًا الى القنصل المذبور في ٢ ايلول سنة ١٨٣٦ ردًا على افتراضه .

اولًا : يقول له انه بموجب الوكالة المقلَّدة لي من قدس الاب العام ونيابة عن رئيس دير مار انطونيوس قزحيا المثبوتة في كنسلارية فرنسا بمحكمة بيروت تحت امضا واختام جميع المحترمين اوكست بانوس وقنسا ارازي . اعرض انه بخصوص طلبك ايانا الى محكمة حلب فلا يمكنك ذلك لجلة اعتبارات :

١ : انه بموجب رسوم سني الرهبانية لا اقدر ان اتوجه في كذا مسافة بعيدة غريبًا عن الاديرة واهين النظام الرهباني بمشاجرة عالمية وانا غريب البلد .

٢ : لا يمكنني اوكل احدًا في حلب يقوم مقامي بمشاجرة هذه الدعوى حيث لعدم معرفتهم وقوع حالها القديم الايام الذي بلغ ٣٣ سنة .

٣ : حيث انه من المعلوم يلزم لايضاح اثباتها شهود وبراهين وفحص وكشف وتحديد وغير ذلك، فهذه كلها موجودة هنا اي بناحية طرابلس الشام وفي بيروت فلا يمكنني اوجه شهود من هذه الاصقاع الى مدينة حلب . ولا يمكنني ان اوجه اناسًا من حلب الى هذه الديارات اي عشاش وغيرها لاجل فحص وكشف وغيره .

٤ : لا اقبل استماع شريعة في ديوانك الخصوصي وانت تحكم بها بما انها استمدت في دواوين اعلا سموًا واقدر حكمًا من ديوانك واخص ديوان اكس العالي نيافة والسامي شرافة . . . الخ

فتوجه بهذا الشرح مع مرسال خصوصي الى حلب لجنـاب القنصل المشار اليه عن يد نائب قنصلية طرابلس جناب الخواجا جوفر المحترم .

ثمَّ اتت كتابة ثانية من المذكور بورفيل القنصل في حلب بتاريخ ١٢ اذار سنة ١٨٣٧ يقول فيها بعد الترجمة :

« اني حكمت ان يؤخذ المكان الذي يسمى عشاش اي نصف تملكات هـذا الموضع من رهبان دير قزحيا ويعطى لعائلة بيت الكونتي . وان الرهبان نفسهم المـار ذكرهم يعطون حسابًا من حين تملكهم الارزاق هذه مع الغلال والريع الناتج منها الى يومنا هذا » .

واسند حكمه على اعتبارين : الاعتبار الاول عدم حضورنا لديوانه بمجرد طلبه .

والاعتبار الثاني : ان الامبراطور الفرنساوي واضع رسمًا في البنـد الـ ٩١٠ في فرنسا من شرايع نابوليون :

« ان الهبات ما بين الاحياء او بموجب وصية لجانب الاديرة ام فقراء بلاد او لمحلات مشتهرة لجهة ما ، لا يعمل بها من دون صدور اوامر امبراطورية ؟ » .

فمن هنا نتج هذا القنصل ان الحكم الذي صنفه يكفي له هذان الاعتباران لاخلافها . والحال ان الاعتبارين المار ذكرهما لا فائدة منها قط .

الاول : لمجرد طلبه لحضورنا ، وعدم حضورنا اليه لا يسلبنا حق التملـك الشرعي الماضي من عمر ٣٢ سنة واخصه عدم سماع شرحنا بل لمجرد دعوى الخصم لا غير .

الثاني : استناده الى البند الـ ٩١٠ النابوليونية فهذا البند محصور وضعـه وفرضه وتفترض صيرورته في مملكة فرنسا المعظمة وليس في كل مكان واقليم لوجه العموم غربًا وشرقًا حتى ولا في اي مملكة كانت يسري هذا الزعم عينه الا باقليم فرنساوي فقط . مع ان الامبراطور يوضح في سننه هـذه بكتاب شرائع الفرنساويين ان يكون هذا الرسم في مملكته . ولو انه يفرضه على كل الممالك لكان اضحى رسمًا ممحوًا ووضعًا خاليًا خاويًا لا عبرة له . وعلى اي كان من الافتراضين فانا غير ملزومين بالوقوف عند حكم هذا القنصل الخالي من الحقوق الشرعية . ومع ذلك انه انوجد له ردّ على كتابته المسماة حكمًا موردين له غلطه عن كل اعتبار بمفرده وارسلناه له وبه نقول له :

« انا غير واقفين عند حكمك ولا مقرين بشرحك واننا رافعون دعوانا عليـك الى

ولاة امورك ومحكمة اكس السامية شرقاً . فمن الآن وصاعداً ما عاد يسوغ لك سؤال وجواب منا ، بهذا الشأن ليكون نفذ جواب محكمة اكس السامية ولاة امورك الاعظمين » .

وهذا الرد تقدم له عن طريق بيروت بمناظرة جناب القنصل آتري كيز وتسجيل الكنسلارية . ومثله توجهت عرايض مشروحة ببداية هذه الدعوى ونهايتها تماماً الى صدر الوزراء العظام بفرنسا تعلن الاستغاثة بعدم قبول الحكم ورداً على غلط القنصل بورفيل المذكور وانتهت الدعوى هذه بمحال كذا...

هذا ما علقه الاب اغناطيوس سركيس من الشرح بخصوص هذه الدعوى وذلك الى هذه السنة التي هي سنة ١٨٤٠ واما ما كان بعد ذلك اي من سنة ١٨٤٠ الى سنة ١٨٤٢ التي كانت فيها نهاية هذه الدعوى ، فانني انقله عن الجورنال الرسمي الصادر من قنصلية فرنسا في حلب المختص بهذه الدعوى :

ان الخواجا يوسف الكونتي من الحصر فيه الارث المتروك عن المرحومة ارملة جرمين رفع عريضة الى الخواجا آتري كيز القنصل الافرنسي في حلب شارحاً فيه واقع حال هذه الدعوى من السنة ( ١٨٤٠ ) الى سنة (١٨٤٢) بما حرفيته ، قال :

« لا احد مثل جنابكم مطلع على حقيقة هذه الدعوى وان عائلة كونتي كانت طائفة اسما تقدر على قيامها ضد رهبان مار انطونيوس قزحيا في لبنان ، وذلك بخصوص الهبة التي اعطتها ابنة عمي روزه ارملة جرمين الى دير هذه الرهبانية الكائن في قزحيا . فلهذا انني باعتنائي من تقديم شرح مستطيل اقدر اتصل الى النهاية التي تدعيني الان للالتجاء الى سلطتكم :

وهو انا يا سيدي القونسلوس المحترم كما ليس خافي انه كان تارة تسمع دعوانا على استرجاع الهبة وتارة ترفض حتى اخيراً حصلنا على اعلام موافق ، ولكن حيث الرهبان لم يتبرروا ذاهم اخهم ملترمين بالامتثال اليه كونهم غير خاضعين للشريعة الفرنساوية فبقي ذلك الاعلام بدون اجراء والدعوى بدون رفع بخلاف محكمة حتى التزمت جنابكم عرض هذه الحالة لسعادة وزير الاشغال الدينية الذي بجوابه يرفع كل شبهة عن عدم صحة الهبة ويحق بطلان الادّعا الذي تدعيه العائلة الكونتية بهذا الشأن .

فمع ذلك بحيث انني التزمت الى مصاريف كثيرة ان كان للاسفار وان كان للمحاكم كلفة فتاوى بهذه الدعوى لمح لي ان اعرض حالتي الى رئيس دير مار انطونيوس قزحيا .

فبعض اشخاص عاملي خير تداخلوا حينئذٍ لكي تنال المقصود باوفق نوع فحصلت على وعد باربعة الاف قرش بصفة تعويض المصاريف المسببة من هذه الدعوى المذكورة ولكن بشرط ان عائلة كونتي تحرر ورقة بكونسلاريتكم بما تترك هي وسليلتها كل ادعا وطلب او حق على قرية عشاش المذكورة الموهوبة من المرحومة الست روزه ارملة جرمين الى دير مار انطونيوس قزحيا لان الريس لا يقدر يكلّف ديره بمصارفات بدون غاية نفع التي هي راحة ضائرهم من الان وصاعدًا مما يختص بهذه الهبة.

فقد ارضيت الجميع لان يتمموا الورقة المذكورة المطلوبة كما اعلاه من الرئيس المومأ اليه. ولم يبقَ عليَّ سوى تفويض من جنابكم لاقوم مقام اخي فيلكس انطون كونتي الذي صار له غائب عن حلب مدة ٦٠ سنة والذي ما عاد ظهر عنه خبر من مدة عشرين سنة.

وحيث المادة لا تأول الى ارث بل الى اقرار لا يتضمن كما هو باطن الامر حق مستحق التمس يا سيدي القونسلوس المحترم ان تجيب سؤالي كي اقدر ان استولي على المبلغ الذي يصير لي منه الثلاثة ارباع حيث يصير اقرباني تركوا لي قسمهم والذي نظرًا الى حالتي يُعدّ عندي عظيماً».

وبحسب الالتماس المورد انفًا اعطته القونصلاتو التفويض اللازم ولما لم يَعُد مانع لاعطاء صك الاسقاط والابراء ودفع ما تقرر دفعه من المال لنهاية هذه الدعوى التي اشغلت الرهبانية نحو ثلث قرن، تحرر الصك الآتي وصادقت عليه قونصلاتو فرنسا في حلب وهذه حرفيته:

«انه في ٢٣ آذار سنة ١٨٤٣، بعد الظهر بساعة امام مونسيو أنري ركيتز كونسلوس فرنسا رتبة اولى في حلب وامامنا نحن يوحنا المصدان جفروا كونسلير القنصلية المذكورة وامام الخواجا يوحنا يونس وجورج فيدال شاهدين مدعيين حضروا من جهة واحدة.

والخواجا خليل رقيه وكيل مقام بموجب تحرير مؤرخ في ٧ اذار سنة ١٨٤٣ من قبل الاب اغناطيوس سركيس المحترم رئيس دير القديس انطونيوس قزحيا، كي ينوب في مصالحة فيما بين الراهب المذكور وبين اعضاء عائلة كونتي حاضرين او غائبين في حلب.

وهذه الوكالة قد تسلّم عليها منا لكي لا يحصل عليها تغيير فهي باقية موضوعة بهذه الكونسلارية. ومن جهة اخرى.

اولًا: الخواجا يوسف كونتي الساكن في حلب المذكورة، عاملًا كما عن ذاته عن اخيه البكر الخواجا فيلكس انطون الغائب، ام عن ورثاه ان يكن له، وذلك بموجب حكم قونسلوس فرنسا مؤرخًا في ٩ اذار من السنة الحاضرة بناء على مضمون اعراض الخواجا يوسف كونتي المرقوم لهذا الحكم. وعاملًا كذلك عن الخواجا يوسف

انطون كونتي واندره كونتي واندري فيدال بموجب اوراق الابراء المؤرخين في ٢٣ حزيران سنة ١٨٦١ و٧ تموز و٢٥ ك١ سنة ١٨٦١ الذين هم ايضاً مضافين الى هذه الوثيقة .

ثانياً : لويزا كونتي التي هي بتول .

ثالثاً : غرة كونتي بتول والنسا ماريا كونتي امرأة اينجي النائب . ودراجينا كونتي امرأة بشير الحاضر . ومدول كونتي امرأة يودكي الحاضر ايضاً .

رابعاً : الست انطونيتا فيدال امرأة يوسف مكرديج ديار بكر الحاضر مع امرأته . الذين حضروا جميعاً ليقروا ان لاجل دفع كل نوع شبهة يمكن ان تكون موجودة للان على الحقوق التي كانوا ظنوها ان تكون لهم على هبة ضيعة عشاش الكائنة في ارض طرابلس الشام التي وهبتها الست روزه (سوسان) ارملة جرمين قرينبتهم الى دير مار انطونيوس قزحيا .

فتركوا الان بحسب هذه الوثيقة عنهم وعن سليلتهم او عن ورثاهم كل ادعا على الهبة المرقومة . ويعترفوا ان ما لهم عليها ولا نوع حق وقابلين مبلغ اربعة الاف قرش بصفة اكرامية التي يعطيهم اياها رئيس دير القديس انطونيوس قزحيا المذكور بحساب تعويض خسائر نافذة منهم وقت قيام الدعوى .

فقد طلبوا منا هؤلاء اصحاب الدعوى ان نحرر عليهم وثيقة بجميع ما ذكر اعلاه ، وقد حررنا عليهم وبعد تلاوتها وترجمتها لهم بالعربي اللغة التي لا يعرفون غيرها . والتي نحن كونسلير بحسب وظيفة ترجمان القنصلية نعرفها والمفهومة ايضاً من جناب قنصلي المومى اليه ومن الخواجا دقية ومن الشهود المذكورين اعلاه فهذه التلاوة والترجمة قد شهدوا بصحتها اصحاب الدعوى كل واحد منهم بمفرده .

وحينئذ دفع الخواجا خليل دقية الاربعة الاف قرش ستة حصص كل حصة ستماية قرش « والاربعماية غرش التي فاضت اندفعت للخواجا هيبوليت مرتين ايضاً لما كان سلف مصاريف كونسلارية حينما انقامت الدعوى » متقسمة على اصحاب الدعوى فيما بينهم بحسب حقوقهم ومطابقة شجرة سلالة عائلة كونتي الذي كل فرع منها قبض حصته بمعاينة جميع الحاضرين فالستماية قرش التي تخص الخواجا فيلكس انطون كونتي او ورثاه ان وجد احد منهم قد اندفعوا ايضاً للخواجا يوسف كونتي اخيه لكي يقدم حساباً عنها متى لزم الامر .

واعطوا اصحاب الدعوى وصولاً بالاربعة الاف قرش المذكورة المدفوعة لهم بامر حضرة رئيس دير مار انطونيوس قزحيا للغاية المشروحة اعلاه .

« ثم الامضاءات المورودة اعلاه »

وغب نهاية هذه الدعوى على ما اشرنا اليه اعلاه ، ارسل القنصل المومى اليه كتابة الى الأب اعناطيوس سركيس البيروتي رئيس الدير تاهياً اليه مـا توقع . ولما في هذه الرسالة من الاهتمام الشديد الصادر من القنصل المرقوم لنهاية

هذه الدعوى حبّاً بصلحة الوقف . وحفظاً لجميله رأيت رقمها لازماً ذيلاً لهذا الاجهاد واليك حرفيتها :

بعد الترجمة :

انه ليس خافٍ بورود تحرير ابونكم رقم شهره المتضمن تفويضكم لنا بنهي مادة قرية عشاش مع عائلة كونتي ' باشرنا بعمل الاوراق المقتضية شرعاً وبحوله تعالى وحسن دعاكم تممنا ذلك على اتم المرغوب اذ اننا ارضينا اصحاب الدعوى . وعند ذلك احضرناهم لكونسيلاريتنا ولدى شهود محمد (ثقة) اقروا بان ما عاد لهم لا حق ولا دعوى ولا بوجه من الوجوه . الخ . على هبة نصف قرية عشاش . ودفعت بالحال لكل ذي حق حقه وواصل طيه .

١ : صورة امر سعادة وزير الاشغال البرانية « الخارجية » .

٢ : صورة اوراق ترك حقوق الخواجات يوسف كونتي وكيل قنصل صيدا . واندري كونتي الكائن في الاسكندرية . وفرنسيس اندري ڤيدال كونسلير قنصل فرنسا في بنداد . والى الخواجا يوسف كونتي الموجود في هذا الطرف .

٣ : صورة معروض الخواجا يوسف كونتي المذكور المقدم لنا . وصورة تفويضنا له شرعاً على ان له أن يقوم مقام اخيه الغائب عن حلب منذ زمان مديد .

٤ : صورة الاسقاط والابراء من يوسف كونتي المذكور ومن باقي اصحاب الدعوى المحررة والمسجلة بكونسلاريّة قنصليتنا مع ترجمة جميع هذه الاوراق والتحقيق عليهم منا كجاري العادة . وما بقي علينا سوى تهنئتكم بخلاصكم من هذه الدعوى التي تماماً كان مزعجاً للغاية .

ثم ترون في ورقة الاسقاط والابراء ذكر اربعة الاف قرش فقط واما بوصول آخر عربي المبارة ترون ذكر خمسة الاف قرش اخرى وذلك من يوسف كونتي المذكور حيث ان المذكور لا خفاكم انه رجل فقير الحال ذو عائلة كبيرة مديون وعدا عن هذا كله هو المحراك بهذه الدعوى وله انتاب على القرية في زمان مدام جرمين ابنة عمته وله مصاريف تنوف عن ثمانية الاف قرش نافذة منه على قيام الشريعة واجرة اسفار وسلوم كونسلاريات وفتاوى . . .

فاقتضى استحسنا ذمة ورضاة لخاطره اعطيناه مبلغ الخمسة آلاف قرش سراً عن الغير . فهذا كما تفيدوا لا ينتج منه لحضرتكم ادنى خلل كلياً فيكون كامل المبلغ الذي نفذ من يدنا تسعة الاف قرش وليس ثمانية حيث ما امكن الصرف الا بزيادة الف قرش عما حررتم لنا ولكن يتعوّض على حضرتكم منها فرق عملة ' اذ اننا دفعنا المبلغ المرقوم محدوحي

« ريال » سعر ٢٣ قرش فكما لا يفي عن التبرة لاجل النبي لم تتوقف عن زيادة المبلغ الذي ذكر كونتا ما عاد معنا وقت للمراجعة .

فكما تقدم واصل طيه جميع الاوراق المرقومة عن يد جناب الاخ طنوس بتينو ليسلمكم اياها كما افدتم فنؤمل تسليمه القسمة الاف قرش سعر المدوحي ٢٣ قرش كما تقدم ليقدم لنا ارسالهم حالاً كما معرّفينه قبل توجهنا الذي ان احب الله يكون في اواسط الشهر القادم الذي نستمد له دعاء قدس الاب العام ودعاكم زوادة .

وتأخذوا من الاخ وصولاً وتفيدونا عن ذلك . وعن وصول مثلتنا هذا . ونختم مؤملين دوام وورود إظانياتكم المسرة ودام بقاكم » .

في ٢٩ آذار سنة ١٨٤٢

كونسليير آتري كيز قونسلوس

( ختم ) دولة فرنسا في حلب

( عن الاصل المحفوظ في سجل دير طاميش والاوراق الاصلية )

وفي التفتيش في سجل حسابات دير قزحيا بمدة رئاسة الاب اغناطيوس بليبل على هذا الدير هذه السنة ، عثرت على قيد ثمانمئة وستة عشر غرشاً ٨١٦ مصارفات على المطبعة .

فمن هذا القيد يستفاد ان المطبعة نقلت الى هذا الدير من دير مار موسى الحبشي قبل سنة ١٨٠٩ او بعدها كما قد ظنّ البعض . لان قبل هذا الحساب لا يوجد قيد في حسابات قبله صرفاً ولا دخلاً تحت اسم مطبعة . واما حسابات الرؤساء خلف الاب بليبل فيوجد قيود مصارفات على المطبعة ومداخيل منها . ففي حسابات الرئيس الاب برنردوس الدبية خلف الاب بليبل في الرئاسة على دير قزحيا من سنة ١٨٠٥ الى سنة ١٨٠٨ مصاريف على المطبعة ٢٠٩٨ غرش ومداخيل ٥٠١ غروش .

فمن هذه القيود يستفاد ان المطبعة نقلت من دير مار موسى الحبشي الى دير مار انطونيوس قزحيا في سنة ١٨٠٥ او قبله بمدة قليلة ويثبت ذلك التقليد الشائع في الرهبانية ان الاب اغناطيوس بليبل هو الذي نقل المطبعة من دير مار موسى الحبشي الى دير قزحيا والى هذا التقليد استند من قال ان المطبعة نقلت في سنة ١٨١٤ والصحيح ان الاب بليبل نقلها من دير الحبشي الى دير قزحيا بزمان رئاسته على الدير سنة ١٨٠٥ وليس بايام رئاسته العامة سنة ١٨١٤

وفي هذه السنة ١٨٠٥ عقد المجمع العام في ميعاده القانوني في دير سيدة طاميش وبعد اجراء ما يجب من مقدمات الانتخابات صار الاقتراع لانتخاب الوظائف الكبيرة فاصابت القرعة الاولى :

الاب سمعان الخازن فنودي به رئيساً عاماً ( للمرة الثانية )

ووقعت القرعة الثانية على الاب عمنوئيل الجميل « « مدبراً اول

« « الثالثة « « اغناطيوس بليبل « « « ثانياً

« « الرابعة « « نعمة الله النجار « « « ثالثاً

« « الخامسة « « مانيا المتيني « « « رابعاً

وفي اليوم الاخير من مجمع المدبرين ختام المجمع العام توزعت الرؤساء :

فانتخب الاب برنردوس الديبه لرئاسة دير مار انطونيوس قزحيا
« « شربل المتيني « « سيدة طاميش
« مجهول « « مار يوحنا رشميا
« « « « « انطونيوس سير
« « اقليموس الشبابي « « سيدة مشموشة
« « مبارك الخوري الرشاوي « « مار يوسف البرج
« « لورنسيوس الشرتوني « « « مارون بيرسنين
« « مبارك الماقوري « « « انطونيوس حوب
« « اسبيريدون الغزيري « « « موسى الحبشي
« « نوهرا السلفاني « « « جرجس الناعمة
« « الياس الشبابي « « « مخائيل بنابيل
« « اسبيريدون اثروني « « « قبريانوس كفيفان
« « جبرايل الدبراني « « سيدة ميفوق
« « بولس الحاج « « « المونات جبيل
« « اسطفان بسكنتا « « مار الياس الكحلونية
« « عبدالله الشبابي « « « انطونيوس النبع
« « مكاريوس وادي شحرور « « « عبدا مشماد
« « مجهول « « « الياس مطوشي قبرس

(عن روزنامات الاديار)

وفي هذه السنة ١٨٠٥ عقد المجمع العام لاخوتنا الفئة الحلبية في دير سيدة اللويزة وفي الوقت القانوني لانتخاب الوظائف الكبيرة اجتمع ابا. هذا المجمع في كنيسة الدير وانتخبوا بالاقتراع القانوني :

| | |
|---|---|
| الاب فرنسيس موسى الحلبي | للرئاسة العامة |
| « عبدالله فخري البشراني | مدبراً اول |
| « اغناطيوس مركيس عواد | « ثانياً |
| الاخ جرجس الشدياق الحلبي | « ثالثاً |
| الاب جراسيموس اصيلي الحلبي | « رابعاً |

ومن احكام هذا المجمع ان الاخ جرجس المدبر يتفقد الاديار ويقف على حسابات الرؤسا. ويصلح ما يجب أصلاحه . ويفيد الاب العام .

وفي اليوم الاخير توزعت الرؤسا .

( عن روزنامات المجامع في دير لويزة )

وفي هذه السنة لبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

روفائيل بقاعكفرا وموسى الرشاوي .

وتوفي الاخ بطرس الغزيري المبتدي والاب ميخايل الحراط البكفاوي المعلم الحجار الشهير

( عن روزنامات الاديار )

عدد ١٠٩

وفي سنة ١٨٠٦ في اوائل شهر ايار وقف الشيخان يوحنا واسطفان الياس وعموم اهل بان وكفرصغاب خمس قطع ارض متفرقة في خراج القريتين للرهبانية على يد الأب سمعان الخازن والابا. المدبرين لانشا. مدرسة بين القريتين لتعليم احداثها وذلك بموجب صك هذه حرفيته :

سبب تحريره :

هو اننا وقفنا المواضع المذكورة الى رهبانية دير مار انطونيوس قزحيا اللبنانية الى قدس الاب سمعان الخازن الرئيس العام وحضرة الاباء المدبرين بان يكون الموضع المذكور مدرسة لتعليم الاولاد القراءة والمطارح المذكورة بقيت ملك الرهبانية يتصرفوا بها حيث ما شاؤوا وارادوا حسب وقفنا لهم وارزاقهم ومدارسهم ولا لنا عليهم معارضة ولا مدعاة من سائر الوجوه وسلمناهم المواضع المذكورة من دون ميري واذا صار ديوس لا ينحط عليه

ميري واكلاف . ومها حصل وجرى في بلادنا لا يتكلفوا مصرية الفرد .

وقدس الرئيس العام وحضرة الاباء المذكورين تعهدوا لنا في قيام مدرسة بين القريتين لاجل علم الاولاد وهيك صار الشرط والاتفاق فيما بيننا وبين حضرة الاباء المذكورين وجرى ذلك لاجل البيان وحين الحاجة اليه .

تحريرًا في اول ايار سنة ١٨٠٦

المقر بما فيــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــه

| | | | |
|---|---|---|---|
| محرر الاحرف انطونيوس الياس | اهالي بان عموم | اهالي كفرصغاب عموم | حنا واسطفان الياس |

وجملة الاوقاف « الارزاق » خمسة قطع ، ثلاثة قطع كرم ، وقطعتين سليخ .

( عن سجل طاميش )

وفي الحال اقرّ الاب العام افتتاح هذه المدرسة (وما زالت قائمة بمهمتها حتى الان ) وقد جدد لها جملة املاك واصلح بناءها وزاد عليــه الاب افرام ججع بمدة رئاسته العامة .

ان من انعم النظر في مقدار هذا الوقف (وما هو الا قليل) عرف ان الغيرة وحدها هي التي حركت آباء الرهبانية الى قبوله كواسطــة او سبب لتثقيف احداث هذه القرى الذين هم بحاجة كلية لتعليمهم قواعد الديانة الكاثوليكية اكثر من طمعهم بالفائدة المادية من هذا الوقف الذي لا يُعدّ شيئاً بالنسبة الى ما تتكلفه الرهبانية من المال والاتعاب والتضحيات للقيام بهذه الواجبات سوا. لمعاش من يقوم بهذه المهمة او لانشاء مكان يسكنه وكنيسة لائقــة لقضاء الواجب الديني للرهبان وللاولاد كما هي العادة . فمن وقف على ذلــك شكر لاباء الرهبانية فضلهم واثنى على همتهم الناهضة طالباً من الله ان يجزل ثوابهم ويقدرهم على مواصلة هذه الاعمال المبرورة لمجده تعالى وخير القريب.

وفي هذه السنة لبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

نصرا شرتون . ونافيطوس اسيا . ومارون كلداني . ومتى العاقوري . وحنانيا تنوري بعمر ٢٠ سنة. ولبس اسكيم الرهبانية في دير مار سابين بسكنتا ثلاث راهبات من راهبات دير مار جرجس الرومية لما تسلمته رهبانيتنا . والثلاث الراهبات المذكورات هن من اللواتي نقلنَ من دير الرومية الى اديار راهباتنا .

وتوفي الاب مارون القبارية . والاخ طوبيا السلفاني . والاخ سركيس المتيني .

( عن روزنامات الاديار )

عدد ١١٠

وفي سنة ١٨٠٧ لوفاة المطران جرمانوس الخازن مطران دمشق المقام زائرًا رسوليًا في اقطارنا اللبنانية قد تعين زائرًا باسم الكرسي الرسولي الاب لويس كانضولفي الذي كان قاضياً عند المطران المتوفى . وقد اصدر قداسة البابا بيوس السابع توصية بصفة براءة للامير بشير الشهابي بالاب المذكور وهذه حرفيتها :

الى سعادة الامير بشير الشهابي حاكم جبل لبنان :

ايها الابن الحبيب والرجل الشريف السلام والبركة الرسولية :

انه اذ كان قد توفي جداً القريب الاخ المحترم جرمانوس الخازن مطران دمشق الماروني الذي كان اقيم منا زائرًا رسوليًا في نواحيكم فالتزامات خدمتنا الرسولية اقتضت ان نقيم عوضه رجلًا اخر ملائمًا لكي يترأس على قضايا الكاثوليكيين خوفًا من ان يلتحق ضررًا ما بالديانة المسيحية الكلية الاستقامة .

فهذه الوظيفة ذات الشغل المظيم قد قلدناها لولدنا الحبيب لويس كانضولفي الذي كنا اقمناه سابقًا بمنزلة قاض لدى المتوفى جرمانوس الخازن من كونه كلي الكفاية لتتميم التزامات هذه الوظيفة ؛ وعزيز لدينا لاجل صفاته الحميدة .

فنوصيك جدًا الزائر بكل اجتهادنا ولا ريب عندنا بانه سيكون عزيزًا لديك لاجل فضائله ولاجل توصيتنا به .

فانعطافك نحونا واحترامك لهذا الكرسي الرسولي يقنعاننا ان توصيتنا بالمذكور ستفوز بفاعلية عظيمة لديك . وعلى الخصوص نوصيك بالقضايا المختصة بالديانة الكاثوليكية ونتوسل اليك بان لا تكف عن صيانتها والمحاماة عنها بسلطانك واقتدارك بحسب مقتضى غيرتك وحبك نحوها فلا ريب ان بتتميمك هذا الامر ستحصل على نعمة عظيمة من قبلنا. والامر الاعظم المعول عليه هو انك ستنال مجازاة عظيمة من لدن الله .

ونؤمل انك ستتمم بالفعل ما ذكر بكل استطاعتك ؛ ومن ثم بكل حب نمنحك بركتنا الرسولية عربونًا لودّنا نحوك يا ايها الابن الحبيب والرجل الشريف .

اعطي برومية حذاء كنيسة مريم الكبرى تحت ختم الصياد في ٨ ك سنة ١٨٠٧ وهي السنة الثامنة لحبريتنا . (عن سجل طاميش)

وفي هذه السنة ادّعى اهالي رشميا على ان الجرس المعلق في قبة كنيسة دير مار يوحنا في رشميا هو من مال عموم اهالي القرية ليس من مال الرهبانية. فعظم

الخلاف واشتدّ ولصرف هذا الاشكال وتثبيت حق الملك رفع الامر الى السيد يوحنا الحلو النائب البطريركي ودافع ضدّ دعوى الاهالي من قبل الرهبانية الاب ماتيا المتيني المدبر ، وكان المدافعون عن اهالي القرية بالاصالة والوكالة : يوسف الخوري . وسعد ابو ضاير . وجرجس ابو مرعي . وطانيوس مبارك .

وغب المرافعة الشرعية ثبت حق الرهبان وحكم سيادة المطران المومى اليه ان الجرس من مال الرهبانية وان دعوى الاهالي باطلة .

وهذه صورة الحكم :

اعلام بالرب لكل واقف عليه .

«انه قد حضر امامنا حضرة ولدنا القس ماتيا المتيني المدبر اللبناني المحترم واولادنا اهالي رشميّا : حنا الخوري ، وسعد ابو ضاير . وجرجس بو مرعي ، وطانيوس مبارك بالاصالة عن ذاتهم وبالوكالة عن اهالي ضيعتهم رشميّا .

فادّعوا المشار اليهم على المدبر المذكور في الجرس المعلق في دير مار يوحنا رشميا وان اصل مشترى هذا الجرس من مالهم متقدم للدير بمنزلة وقف ثابت لكي يدقوه ويكون شرفه راجعاً لقريتهم وقدّموا لصحة ذلك «اي ادّعائهم» اربع شهود من اهل رشميا ان ثمن مشترى الجرس هو من مالهم ودفع المبلغ من قرية رشميا ثمه درام وشرانق وغزل .

فانكر المدبر هذا الادّعاء واورد ان ثمن هذا الجرس هو من مال الرهبانية وقدم شاهدين عادلين لهم قدمية في الرهبانية وقاطنين الآن عند الحلبية .

فالاول : القس سليمان الشبابي .

والثاني : القس دانيال .

واعلنا شهادتهما : ان جرس مار يوحنا رشميا شاريه المطران ارسانيوس «عبد الاحد» من مال الرهبانية مع جملة اجراس وارسله الرئيس العام للموضع المشار اليه .

فبعد استماعنا اجتماع الفريقين ووقوفنا على كل ما اورده الجهتين ( الجهتان ) وتفحصنا عما تأمر به المجامع المقدسة ، حكمنا بابطال دعوى اهالي رشميا على هذا الجرس .

اولاً : لأن ليس بيدهم بيان كافٍ ان الجرس موقوف من مالهم وان الشهود يشهدون لمالهم والشاهد لذاته شهادته باطلة .

ثانياً : على افتراض ان الجرس هو موقوف من مال اهالي رشميا فهذا الوقف هو منتقل وليس ثابت والوقف المنتقل فصاحب الولاية له حق التصرف بان يوزعه ام يبيعه ام ينقله ام يقاوض فيه حسبما يراه موافقاً بالرب . ولو كان خلاف ذلك لكان بطل استعمال كل خدم الوقف .

فن ثم نطلق ونحكم. ان اهالي قرية رشميا ليس لهم دعوى ولا معارضة البتة بخصوص هذا الجرس بل الرئيس العام ومدبريه لهم السلطة المطلقة على استماله ونقله وحتى بيعه من غير معارضة ولا مشورة احد لانه وقف سواء كان من مال المدعين ام من مال الرهبانية لكونه متنقل وليس ثابت ويتنعوا اهالي رشميا عن ذلك المنع الشرعي هذا ما حكمنا به .

صح في ٢١ ت ٢ سنة ١٨٠٧

الحقير يوحنا الحلو
مطران عكا ووكيل بطريركي

( عن الاصل المحفوظ بيدي )

لم ارَ مسوغاً او موجباً يعتصم به اهالي رشميا لمنازعة الرهبانية على ملكية جرس كنيستها سوى قصد التعنيف وفتح باب خصام للرهبانية فقط لانه سواء كان الجرس موقوفاً من الاهالي او مشترًى بمال الرهبانية ، فما هي النتيجة المجتناة من هذه الملكية . ومما يحقق ملاحظتي هذه ما سيأتي من حوادث النزاع بين الرهبان وبيت ابي صابر على صحة وقف احد اجدادهم على الرهبانية كما سيجيء في حوادث سنة ١٨١٠ .

وفي الثالث عشر من شهر تشرين الاول لهذه السنة ١٨٠٧ رفع غبطة السيد البطريرك يوسف التيان عرضة الى الكرسي الرسولي المقدس ضمنها رغبته في التنازل عن تدبير الكرسي البطريركي ويلتمس قبول تنازله. وقد قبل الكرسي الرسولي التماسه سنة ١٨٠٨ ، كما سنذكره .

ومن حوادث هذه السنة ١٨٠٧ أنّ المشايخ بيت القاضي الدروز ادعوا على مزرعة سفيتي التي اشتراها منهم الشيخ سعد الخوري من رشميا ، ثم باعها من الرهبانية . وخلاصة دعواهم انهم باعوا هذه المزرعة من الشيخ سعد مكرهين . ثم حصل التراضي والوفاق بين المشايخ والرهبان وربطوا اتفاقهم بقرار مشهور فيه وهذه حرفته :

« انه في سنة ١٧٧٥ اشترى الشيخ سعد الخوري مزرعة سفيتي من المشايخ بيت القاضي الدروز بثمن ٣٦٢٦ غرش .

ثم باعها الشيخ سعد للرهبانية باسم ديرسير برئاسة الاب عمنوئيل الرشاوي العامة في حوالي سنة ١٧٨٢ بثمن ٣٧٥٠ غرش .

ثم بعد مرور سنوات عديدة على هذا المبيع برز المشايخ بيت القاضي المار ذكرهم وادعوا

بأن الشراء الذي تمَّ على مزرعة سنيتي للشيخ سعد الخوري حصل مكرهاً بامر ذوي شوكة .
ثم حصل التراضي بين الطرفين على ما يأتي :

ان يجدد تخمين اراضي المزرعة المرقومة وما يبلغ ثمنها يحسم من اصل قيمة ما دفعه الرهبان الى الشيخ سعد وما تبقى يدفع ليدهم فبلغ ثمنها ٩٠٢٥٠ غرش حسم من اصلها ما دفعه الرهبان وقدرة ٣٧٥٠ غرش وما تبقى ٥٢٧٥ غرش دفعت ليد المشايخ المار ذكرهم واسقطوا دعواهم وحرروا صكاً بالبيع .

جرى ذلك سنة ١٢٢٢ هجرية توافق لسنة ١٨٠٧ مسيحية .

| | | | |
|---|---|---|---|
| احمد القاضي | خالد القاضي | شرف الدين القاضي | حسين القاضي |
| عساف القاضي . | يوسف القاضي | عبدالله القاضي | اولاد خالد القاضي |
| | سليمان القاضي | حمود القاضي | |

شهود الحـــــــــــــال

| | |
|---|---|
| احمد من | شرف الدين بن حسين |
| الدير | من الحلالية |

وفي هذه السنة لبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

طوبيا وجبرايل من القليعات . وانطونيوس وجراسيموس من تنورين . مارون المشاني . وعبد الاحد قيتولي . وسابا الماقوري وله من العمر ٣٠ سنة .

وتوفي الاب مكاريوس المجلتوني الحبيس بميتة صالحة . والاخ مخايل الباني . والاخ فرنسيس قرطبا . والاب اغوسطين الخلي .

( عن روزنامات الاديار )

## الفصل الثالث عشر

عدد ١١١

وفي سنة ١٨٠٨ اسس رهبانية القديس هرمزدا لطائفة الكلدان الكاثوليك الاب جبرايل دمبو الماردينى المتوفى في سنة ١٨٣٣ قتلاً من عسكر محمد باشا الراونديزي الكردي وسارت على قانون رهبانيتنا اللبنانية وقد اثبت هذه الرهبانية البابا غريغوريوس السادس عشر .

( عن المشرق سنة ١٩٠٠ صفحة ٨٨٦ )

وفي هذه السنة عقد المجمع العام لرهبانيتنا اللبنانية في دير سيدة طاميش بحسب القانون والعادة المرعية وفي اليوم الرابع من الاجتماع القيت القرعة القانونية السرية في كنيسة الدير فكانت نتيجة الاقتراع الاول انتخاب :

الاب عمنويل الجميّل فنودي به رئيساً عاماً ( للمرة الرابعة والاخيرة )

وفي الاقتراع الثاني انتخب الاب اغناطيوس بليبل مديراً اول

« « الثالث « « سمعان الخازن « ثانياً

« « الرابع « « مانيا المتيني « ثالثاً

« « الخامس « « نعمة الله النجار البسكنتاوي « رابعاً

وفي اليوم الاخير من الاجتماع انتخب مجمع المدبرين رؤساء الاديار وهم :

| | |
|---|---|
| الاب جبرايل الديراني | لرئاسة دير مار انطونيوس قزحيا |
| « جراسيموس الموشي | « « سيدة طاميش |
| مجهول | « « مار يوحنا رشميا |
| « مرقس الدلبتاوي | « « « انطونيوس سير |
| « رافائيل الموشي | « « « يوسف البرج |
| « شربل المتيني | « « سيدة مشموشة |
| « بولس عزيز الديراني | « « مار انطونيوس حوب |
| | « « « موسى الحبشي |
| الاب جراسيموس عين تراز | « « « جرجس الناعمة |
| مجهول | « « « الياس مطوشي قبرس |
| الاب سرابيون ذياب | « « « مخايل بنابيل |
| « لورنسيوس الرشاوي | « « « قبريانوس كفيفان |
| « اقليموس الشابي | « « سيدة ميفوق |
| « جبرايل قدمي | « « « المونات جبيل |
| « برنردوس بسكنتا | « « مار الياس الكحلونية |
| « انطونيوس الدرعوني | « « « انطونيوس النبع |
| « مكاريوس وادي شحرور | « « « عبدا مشاد |
| « موسى | « « « مارون بير سنين |

( عن روزنامات الاديار )

وفي هذه السنة صدر القرار من المجمع المقدس بقبول تنازل السيد البطريرك

يوسف التيان عن تدبير الكرسي البطريركي الانطاكي واعلن ذلك بموجب مراسيم سامية منها للسيد البطريرك المشار اليه ومنها للقاصد الرسولي السيد لويس غونضلفي .

وفيها عقد المجمع لاخوتنا الفئة الحلبية اللبنانية في دير سيدة لويزة واسفر الاجتماع عن انتخاب :

| | |
|---|---|
| الاب يوسف السماني | للرئاسة العامة |
| « اغناطيوس سركيس | مدبراً اول |
| « طوبيا الخازن | « ثانياً |
| « انطونيوس البكاسيني | « ثالثاً |
| الاخ جرجس الشدياقية | « رابعاً |

وفي اليوم الاخير توزعت الرؤساء .

وفي هذه السنة لبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

يواكيم الشرتوني . ونوهرا الشبابي . واندراوس السلفاني . وجرمانوس الصغبابي . وارسانيوس النيحاوي بعمر ٢٠ سنة . ويوحنا الرشاوي . ويوسف المتيني . وموسى وحزقيال المتيني . وواكيم الزوقي .

وتوفي الاخ زكا المزرعاني . والاب رافائيل جرجس . والاخ انيا التزبري . والاخ صموئيل الشنتيري . والاخ اندراوس زوق مصبح . والاب افرام كفرشخنا .

( عن روزنامات الأديار )

عدد ١١٢

وفي سنة ١٨٠٩ بلغت المراسيم الرسولية المختصة بقبول تنازل السيد البطريرك التيان الوارد ذكرها آنفاً والآمرة بانتخاب بطريرك يخلفه حالاً . فبناء على ذلك انتخب السيد يوحنا الحلو مطران عكا والنائب البطريركي بطريركاً انطاكياً في مجمع الاساقفة الذي عقد في كنيسة القديس يوسف في قرية عينطورة الزوق في ٨ حزيران وتثبت من الحبر الروماني الاعظم البابا بيوس السابع (١٨٠٠—١٨٢٣) في ٢٥ ك٢ سنة ١٨١٠ وارسل اليه درع التثبيت في ١٩ ك ١ سنة ١٨١٤ . والسبب في تأخير ارسال درع التثبيت من سنة ١٨١٠ الى

سنة ١٨١٤ وجود الحبر الاعظم منفياً بعيداً عن كرسيه بامر الامبراطور نابوليون الاول .

وقد ورد في حوادث سنة ١٨٠٠عدد ١٠٨ ان الكرسي الرسولي امر بارجاع دير مار جرجس الرومية الى اصحابه بيت صفير بداعي احتجاج القسم الآخر من العائلة نفسها ، على تسليم الدير للرهبانية بدون رضاهم . ولما كان قد صرف ابناء الرهبانية مبلغاً وافراً من المال في سبيل ايفاء ديونه واسترجاع بعض املاكه المباعة وتجديد بناء فيه وبالاختصار ان الرهبانيه قد بذلت فيه اتعاباً وافرة وعناء جزيلاً كما اوضحوا ذلك في اللائحة المتقدمة منهم وقد ورد ذكرها . فجرت اتفاقية بين الاب العام والاباء المدبرين وبين كهنة بيت صفير على ما يجب التعويض عن هذه الاتعاب ورقم ذلك بموجب صك ورد ذكره . لكن ما جرى في تلك الايام كان حبراً على ورق الى هذه السنة لاسباب يمكن الاستدلال عليها من مرسوم غبطة السيد البطريرك الصادر بهذا الخصوص وهذه حرفته :

(الختم) الحقير

يوسف بطرس بطريرك انطاكية وسائر المشرق

اعلام بالرب لكل واقف على اسطرنا هذه :

هو انه اذ كانوا حضرة اولادنا القس عمنويل الجميل وحضرات الاباء المدبرين الاربعة وباقي جمهور الرهبان اللبنانيين قد ارتضوا من تلقاء ذواتهم يرجعوا دير مار جرجس الروميه لاصحابه اولادنا بيت صفير كهنة وعوام

واذ كانوا صرفوا على الدير المرقوم مبلغاً واهياً « وافراً » لاجل وفاء الدين الذي كان عليه قبل تسليمه اياه وكنف العمار والرزق وهذا لازم ايفائه لاولادنا الرهبان اللبنانيين المذكورين فقد اجرينا الحساب بين الفريقين بكل تدقيق وبعد ان حضرة ولدنا الرئيس العام مع حضرة اولادنا المدبرين قد تركوا مبلغاً وافراً شفقة على الدير ورهبانه فالذي تبقى لهم بعد ذلك خمسة الاف وثمانماية قرش ٥٨٠٠ اذ ان كهنة بيت صفير قد اوضحوا عجزهم بوفائه نقداً كما تحقق لدينا ايضاً .

فارتضى الرئيس العام تنازلاً منه براي حضرة المدبرين في ان يثمن بالمبلغ رزق من ارزاق الدير حيث يشاء ويتحرر به حجج من كهنة بيت صفير تتسجل منا . وقد قبل ذلك الفريقين .

واما موسم باقي الارزاق هذه السنة فيكون بتسليم كهنة بيت صفير وهم ملتزمون بوفاء الكسر الذي ترتب على الدير هذا العام قبل تسليمهم .

ومن ثمَّ نعلن بموجب اعلامنا هذا بان هذا الصرف قد تمَّ برضى الجميع باثبات منا .
وانه لم يعُد لاحد الجهة (لاحدى الجهتين) على الاخرى دعوى ممّا مضى بما يخص دير مار جرجس الرومية لا من قِبَل ارزاق مباعة ولا اغلال ولا نحاس ولا اثاث ولا سائقة « مواشي » ولا مصارفات ولا مداخيل . بل كل شيء مضى ونحسب كأنه لم يصدر .
ولاجل رفع كل اشتباه وايضاح رضى الجميع قد حررنا هذا الاعلان مسجلًا منا ومن حضرة ولدنا الرئيس العام وحضرة اولادنا المدبرين وكهنة بيت صفير .

في ١٢ اذار سنة ١٨٠٩ الحقير عمنويل الجبيل
(ختم) اب عام لبناني

(ختم) اغناطيوس بليبل (ختم) سمعان الخازن (ختم) ماتيا متيني (ختم) نعمةالله النجار
مدبر اول لبناني مدبر ثاني لبناني مدبر ثالث لبناني مدبر رابع لبناني
القس جرمانوس الخوري يوسف
(ختم) صفير (ختم) صفير

صح . تمّ ذلك بحضورنا ونشهد بصحته . في ١٢ آذار ١٨٠٩
(ختم) الحقير عبدالله بليبل
مطران قبرس

( عن الاصل المحفوظ بالرومية )

من مطالعة لائحة المصاريف النافذة من يد الرهبان وقدرها ثلاثة عشر الفًا وثلاثماية غرش ومقابلتها مع المبلغ الذي تمّ الاتفاق عليه بدل المصاريف كما ورد في مرسوم السيد البطريرك وقدره ٥٨٠٠ غرش خمسة آلاف وثمانماية غرش ربما يداخل المطالع شك في حقيقة ما ورد في اللائحة المار ذكرها ولكن بامعان النظر فيما ورد في المرسوم البطريركي الجليل يظهر ان الترك لم يكن بسبب عدم قيود اللائحة بل كان ذلك شفقةً على الدير لعجزه عن دفع المطلوب منه . وقد ظلّ ابا. الرهبانية واضعين اليد على الدير المرقوم لغاية هذه السنة يستثمرون املاكه مدة اربع سنين . ويثبت ذلك التقليد في الرهبانيــة للآن ان الرؤسا. مكثوا واضعين اليد على دير الرومية مدة خمس سنين .

ولما استلمت عائلة صفير الدير من آبا. الرهبانية اصدر القاصد الرسولي الاب لويس غندولفي حكمًا بحق الولاية على الوقف المرقوم ببيت ابي داغر صفير .
وهذه حرفية الصك :

اعلام بالرب لكل واقف على اسطرنا هذه :

هو انه قد وقفنا على حجة سالفنا المثلث الرحمة المونسنيور يوسف السمعاني القاصد الرسولي فيما يخص دير مار جرجس الرومية وهو :

١ : انه ثبت بان الدير المذكور هو مختص باولادنا بيت ابو داغر صفير لان الرزق كله رزقهم والدير ديرهم وورثة لهم .

٢ : حاكم انه ليس لاحد يترأس على الدير المذكور الا احدهم اذا كان موجوداً بالدير

٣ : حاكم برفع يد الكل عنهم وعن ديرهم وان ليس لاحد من الرؤساء يتعرضهم في تدبير رزق الدير بل يبقى ذلك جميعه بيد الرئيس الذي يكون متراساً منهم . تحت طائلة السقوط بالقصاصات الكنائسية من كل من يتعدى عليهم .

فمن ثمَّ اذ كان سالفنا المذكور متصفاً بالعلم والفطنة وعلامة عصره . فمن كل معلوم ومؤكد انه لم يبرز هذه الحجة الا بعد الفحص الكلي ووقوفه على صحة ما هو محرر .

وكذلك من كونه كان مسلحاً بالسلطان الرسولي فكل ما حكم به في الحجة المار ذكرها فهو ثابت لا يسوغ نقضه من احد . ولو بأي وجه كان .

ولذلك نحن اذاً متسلحين بذاك السلطان عينه الذي كان لسالفنا المذكور ، نقول ونحكم ان دير مار جرجس الرومية فهو مختص بعائلة بيت صفير ابو داغر وورثة لهم وليس لاحد من اي درجة كان ان يترعه منهم او يرفع توليهم عليه . او يتعرضهم بتدبير ارزاقه ووقوفاته ولو مها صار تغيير في باقي الديورة الذي(التي)ليس هم (هي) نظيره اذ انهم لا يحانوا ترتيب وتعيين ديرهم حسب رسوم المجمع اللبناني وكما يرى مناسباً وموافقاً بالرب وحسب امكن البلاد والزمان لان تملكهم هذا الدير والحقوق التي لهم عليه بموجب حجة سالفنا المذكور قد تأيدت من الكرسي الرسولي ومجمع انتشار الايمان المقدس الذي ، حين انعرض لديه بان الرهبان اللبنانيين قهروا اصحاب هذا الدير واخذوه منهم بالقوة غصباً(١ ـ أمرنا اننا نفحص عن حقيقة القهر وان وجدناه ترجع الدير لاصحابه المذكورين . كما واننا نحن فعلاً وبامر المجمع المقدس ارجعناه لاصحابه بيت صفير المذكورين . ولاثبات ذلك ـ ولرفع كل تراع عنهم في المستقبل ولكي لا يقع عليهم تغيير فيما بعد اصلاً بل يستمروا على مـ ـه عليه دون ادنى تغيير او دعوى من احد سلمنام هذا الاعلام ممضياً بخطنا وختمنا موءيدينه ـ السلطان الرسولي .

صح حرر في قرية عينطورة ٢٥ نيسان سنة ١٨٠٩

( عن الاصل بدير الرومية ) الحقير البادري لويس غندولفي

(الختم) القاصد الرسولي

---

١) انني لا اعلم كيف يوفق بين هذا القول وبين اوراق السيد البطريرك وكتابة جرجس باز وصك التسليم من بعض افراد هذه العائلة ، بأن الرهبان قهروا اصحاب هذا الدير واغتصبوه منهم ؟ . . .

## الخلاصة

في ١٩٠٤–١٩٠٥ العالم في الآثار المصرية فلايندرس بتري في الحفريات التي قام بها في هيكل هاتور في «سرابيط الخادم» في سينا اكتشف الاحد عشر نصاً «السيناني الاول» ( Protosinaïtiques ) .

بعد ذلك ثلاث بعثات بعناية جامعة هارڤرد ١٩٢٧ و١٩٣٠ و١٩٣٢توصلت الى جعل عدد النصوص المكتشفة نحو ثلاثين .

المحاولات الاولى لقراءة النصوص بدأت سنه ١٩١٩ . تمكن ألن غاردنر من قراءة الكلمة «بعلت» ومعرفة بعض العلامات . منذئـذ علماء كثيرون عالجوا ترجمة هذه النصوص لكن الى اليوم ليس في هذه المحاولات ما يُعتبر حلًّا باتًّا .

ما هو سبب عدم النجاح . في اساس كل هذه المحاولات لقراءة النصوص وضعوا مبدأين اعتبروهما ثابتين : ١ً معرفة حروف الألفباء يلزم ان تكون بموجب المبدأ ( acrophonique ) . ٢ً : لغة سينا هي سامية شمالية(كنعانية).

من هذين المبدأين لم ينتج نتيجة مرضية لذلك اتخذنا طريقة اخرى: اننا لم نهمل تماماً المبدأ الاول فقد كمّلناه بالاستعانة بطريقة المقابلة . اخذنا الحروف الهجائية العربية السابقة للاسلام كحد للمقابلة . فان علامات كثيرة من هذه الحروف الهجائية تشبه علامات النصوص السينانية المذكورة . وللعلامات المقابلة او المشابهة اعطينا قيمة العلامات العربية التي تطابقها .

المبدأ الثاني هو قياس فرضيّ وضعه آلن غاردنر ورضي الجميع به دون اثبات وضعي . اننا نظن بان هؤلاء العمال الساميين في معادن سرابيط لم يكونوا ضرورةً ساميين من الشمال يتكلمون لغة كنعانية . من الممكن ان يكون فيهم من السكان الاصليين او عرب اتوا من شمالي البلاد العربية . اذن ليس من الضروري ان تكون لغة سرابيط لغة كنعانية فتكون بالاحرى — اذا تحققت مفروضاتنا — لغة سامية جنوبية . مع هذا فيما يخص الموقع الجغرافي فان سينا هي على الحدود اللغوية حيث يفترق الفرع الشمالي والفرع الجنوبي من

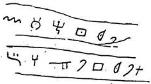
اللغات السامية لذلك فمن الممكن ان يوجد في لهجة سرابيط شيئاً من ميزات الفرعين فتكون حينئذ نوعاً ما لغة ثغر .

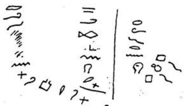
ترجمة النصوص اعتماداً على المبادئ التي فرضناها تبين لنا انها قد اعطت معنى مرضياً جداً . كما كنا نتوقعه في اللغة لاحظنا التأثيرين الشمالي السامي والجنوبي السامي لكن قد ظهر في التقويم الذي عملناه بان اسماء العلم والمفردات اللغوية تدل على التغلب العربي .

اذن لغة سرابيط هي لهجة شمالية عربية أثر فيها كثيراً الشمال السامي وعلى ما يظهر لم تكن فقط لغة سينا لكن ايضاً لغة شمال البلاد العربية حيث تنشأ بعد ذلك ممالك مصري - مديان وأدماتو .

هؤلاء عرب سينا هم الذين اخترعوا هذا الالفباء في منتصف الجيل السادس عشر قبل المسيح . هذا الالفباء هو اصل ما تبعه من الفباء عربي قبل الاسلام وعلى ما يبين قد انتشر في البلاد العربية شمالاً وجنوباً بواسطة ادلاء القوافل العرب الذين كانوا في خدمة سرابيط

ا. ف. د. براندن

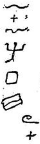




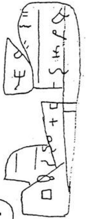
2



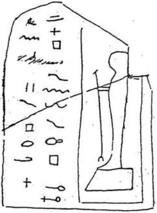
3



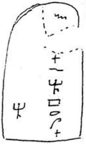
4



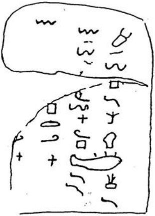
6



7



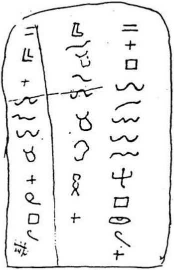
10



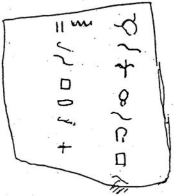
8



5

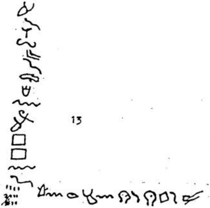


9



12

III



13



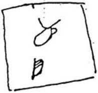
15



24



30



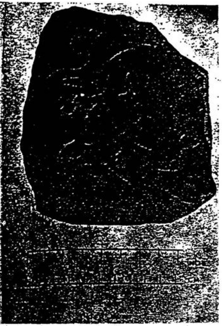
18



27



14



19

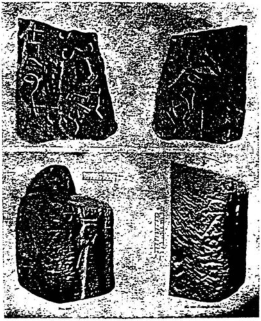
V

16 17



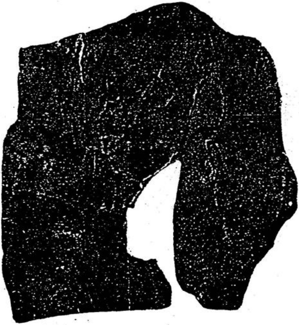
20 28

21 22

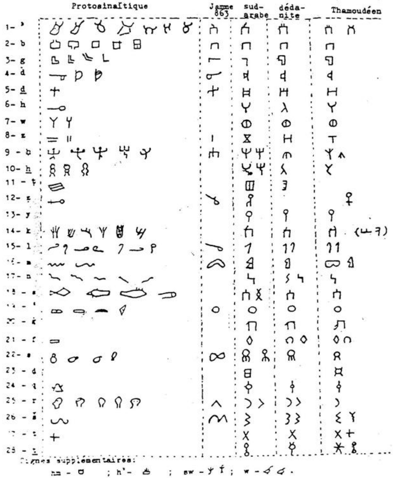


26

VII



31


Protosinaïtique
Jamme 863
sud-arabe
dédanite
Thamoudéen
Signes supplémentaires:

# تعريف عن الكتب

Georg Steindorff. — *Lehrbuch der Koptischen Grammatik.* In-8°, 16×24 cm. XVI-250 pp. — The University of Chigago Press 1951.

ناشر عدة آثار قبطية جورج ستيندورف كان منذ سنة ١٨٩٤ قد ابرز في السلسلة المعروفة « باب اللغات الشرقية » ( Porta linguarum orientalum ) موجز الصرف والنحو للغة القبطية وقد جدد بعد ذلك طبعه . ثم عند موته ١٩٤١ ترك تأليفاً اكمل كان قد انتهى من تنقيح نصه.

كان الناشرون الاميركيون من سكان شيكاغو قد صمموا على طبعه لا بلغة مؤلفه لكن مترجماً الى اللغة الانكليزية الا ان وفاة السيد كروم سنة ١٩٤٨ ( واليه كانوا قد عهدوا بهذه المهمة الدقيقة ) اضطرتهم الى العدول عن ذلك وهكذا قُدّم لنا هذا الكتاب مثلما كان انشأه ستيندور باللغة الالمانية .

هذا الكتاب هو مُعَدّ للعلماء خصوصاً الذين يُعنون بالاطلاع على اسرار المخطوطات واوراق البردي المكتشفة والتي سوف تُكتشف . فليس اذن مثل مؤلفات اخرى من نوعه خصوصاً كتاب الاب مالون مخصصاً لدرس اللغة البُحيرية التي هي وحدها مستعملة في كتب العبادة . غاية كتاب ستيندور هي خلاصة تامة لكل لهجات اللغة القبطية فيما يخص اللفظ والصرف والنحو . وقد اتخذ كلهجة اساسية لا البحيرية لكن الصعيدية .

الى الاختصاصيين البارعين يعود بكل حق الحكم في قيمة هذا القرماطيق القبطي الجديد وفي اهمية جهوده في تقدم الدروس القبطية . ب . م

Stefan Strelcyn, *Prières magiques éthiopiennes pour délier les charmes* (*nafîshe ssraq*). In-8°, LXXVI-496 pp. *Rocznik Orientalistyczni*, t. XVIII. Warsawa, 1955.

من اراد ان يعرف الانسان ليكون اكثر اهلية لمساعدته في اوهانه يجب عليه ان يعرف ايضاً ميله الى الغيب وزلاقاته في هذا المجال المظلم وبكلمة وجيزة ممارساته السحرية . نشر النصوص التي يستعملها السحرة وتباعهم هو الاول ضرورةً . وما ينشره اليوم ستيفن ستربلسين في هذا الجزء الثامن عشر

من R. O. هو نصوص من هذا النوع. هذا المؤلف قد قُبل في باريس كاطروحة لاجازة في الدرجة الرابعة من معهد الدروس العالية ( السربون ) سنة ١٩٥٠ وقد اكتمل البحث بادارة السيد كوهن. يضمن الكتاب اولًا مقدمة خطيرة بست وسبعين صفحة ثم النص والترجمة « المفتاح شيراي » ( ص ٣١١ ) يتبعها ملحقان ( ١١ صفحة ) ثم فهرس بستة اقسام ( ١٥٨ ص ) وقائمة كتب مجهّزة ( ١٣ص ).

اثيوبيا هي للسحر ارض مفضّلة « احدى البلاد التي فيها يوجد اكبر عدد من النصوص السحرية » ( ص ١١ ) وهو قديم فيها وثبت فيها ونجح رغمًا عن تحريم الكنيسة المسيحية ( وليس هذا كلمة وحسب ) وعن الديانة الاسلامية.

المقدمة تعطي التوضيحات الضرورية . نقدر ان نقسم الكتابات السحرية الاثيوبية الى جزئين : اولها يتضمن النصوص التي فيها يظهر المغزى الديني جليًا وكانت تُعتبر اعتبار النصوص التعبدية :نوع من ذخائر السعادة دون تعيين احوال خصوصية . الثاني يتضمن تمائم مصنوعة لمقاومة بلية او مرض خصوصي وفي هذه التمائم العنصر السحري متفوّق . نصوص الصنف الاول درسها د. ليفشتز ونصوص الصنف الثاني وهي عديدة لم يدرس منها الا عدد قليل. ينوي المؤلف ان يسد هذا الخلال الكبير .

انتخب المؤلف مقتطفاً في مخطوط مكتبة الفاتيكان ( نمرة ١٢٨ ) اعتبره جديرًا بتمثيل النوع (S. Grébaut et E. Tisserant, *Codices aethiopici Vaticani et Borgiain.* Cité du Vatican, 1935-1936, 2 volumes ). في هذا المخطوط الاوراق ٢٣ م — ٩٨ م تحتوي ٦٢ قطعة « باءننا مفتحي شاراي » ( اي : لاجل حلّ الرُقى ) مكتوبة باللهجة الجعزية — و٢٧ وصفة ضد الرُقى : وصفات طبّية — سحرية مُحرّر اكثرها باللهجة الامهرية .

الصلوات « مفتاحي شاراي » هي بحصر المعنى من السحر الدفاعي « السحر الابيض » لكن هذه الصلوات هي النص السحري الاثيوبي الوحيد ولربما ايضاً النص السحري الوحيد في الشرق الادنى وهو يؤلف موسومة حقيقية ضغيرة « للسحر الاسود » ( السحر المهاجم — وهذا من سبب كل الاحتياطات التي اتخذت في وضع هذه الصلوات حتى تكتسب قوة راقية عظمى وقد ألجئ المحرّر الى تعداد الاعمال السحرية الاعمال الكلية او الاعمال المصرّحة ( لكي يحسن

ملاشاتها ) وايضاً تعداد الوسائط التي يستخدمها السحرة او اصناف الاشخاص المرهوبين لقوتهم السحرية ( خصوصاً الحدّاد والغريب ) .

الجزء الاهم في تركيب صلاة « لحل الرُّقى » هي هذه الجملة : « حُلَّ وفرّقْ « ذوّبْ وبدّد » فيما يخاطبون اما الله واما الاذية عينها مباشرةً . او الجملة الامرية « كن محلولاً . . » او صور اخرى مختلفة ، لكن الى هذه العبارة يُضاف عبارات اخرى مساعدة : اما بذكر حالات ( مشابهات ) مثلاً : إنقاذ يوسف ( للعهد القديم ) و « حَلّ ( تخليص ) الرسولين القديس بطرس والقديس بولس ( للعهد الجديد ) . او بالحاق الفاظ سحرية بتسجيعات غريبة لا تفهم . او بمخطوطات رسوم سحرية حيث قد تدخل حروف خط زيدت في اطرافها حلقة صغيرة ( « حروف بنظّارات » او « حروف ذات كُرى » ) وقصارى القول بكل الاسلحة المضادة للسحر المؤذي . فنرى اذن كل الفوائد التي نقدر ان نحصل عليها فيما يختص بالسحر من هذه الصلوات « مفتاحي شراي » .

نقّب المؤلف عن مصادر الاجزاء المختلفة التي منها تتركب هذه الصلوات « لاجل حلّ الرُّقى » . انها تتصل بالتقليد اليوناني الذي حسب مذهبه التوفيقي جمع ومزج سوية عناصر سامية ( اثورية وآرامية ويهودية ) مع اخرى يونانية ومصرية قبطية . في هذا التقليد اليوناني « المفتاحي شراي » تتميّز خصوصاً بانها جزء من الدور القبرياني .

في النشرة يوجد المخطوط عينه بصور فوتوغرافية وهذا ما جعل ممكناً ان توضح في النشرة الرسوم السحرية والحروف ذات كُرى » . ازاء كل صفحة ترجمتها الى اللغة الفرنسية . اختيار المخطوطة الفاتيكانية ١٤٨ كان صائباً للغاية فانها كانت ولا بد مثالاً لساحر اخذوا عنه لصنع التمائم وقد توصل المؤلف الى معرفة من كان هـذا الساحر : ليس هو الا « البرامباراس » جيورغيس وهو يوناني من الايبير جاء الى اثيوبيا نحو سنة ١٨٦٥ : رجل متهوّر مخاطر يتكلم اللغة الايطالية وبلا شك العربية ايضاً دخل الى الجندية وحاز فيها بدرجة « البرامباراس » وسريعاً صار « حكيماً » اي طبيباً وساحراً . توفي سنة ١٩٢٦ . ومخطوطة الفاتيكان ١٢٨ هي ولا بدّ التي اشتريت عنده او عند ابنـه للسد غريبو ( ولمكتبة الفاتيكان ) حين مكوثه في قاعدة اثيوبيا .

بنشر هذه المخطوطة ستيفن-سترلسين خدم خدمة عظيمة الدروس الاثيوبية فان النشرة قد كلفته جهودًا كبيرة صلبة . بحوث دوتي وموشان قد اتتنا سابقًا بمعلومات عديدة عن السحر في افريقيا الشمالية . فيما يخص سوريا ولبنان في عصرنا لم ينشر الى اليوم في هذا الموضوع شيء بموجب معرفتنا . ج فولرس في بحثه الجيل « بلاد الملوبين » ( مدينة تور ١٩٤٠ ) لم يمس هـذا الموضوع والحال ان هذه البلاد غنية به . في سوريا ولبنان عوائد ظاهرة كثيرة تدل على اهتمام كبير بتجنب حمل « العين الشريرة » : قلادة لؤلؤ ازرق فاتح في عنق الاولاد (او الحيوانات) واللؤلؤ المثبت في شعر الاولاد ونعل الفرس فوق الباب والحذاء العتيق لحماية محوط او كرم او بستان زيتون . لهذه العادة الظاهرة خفي يقابلها . لكننا ازاء موضوع لم يدرس بعد . هـ. ف اليسوعي

*The Political Quarterly*. Special Number — *The Middle East*. Vol. 28,2, April-June 1957, pp. 101-208, London, Stevens a. Sons Ltd.

هذا العدد الخصوصي من المجلة — وموضوعه الشرق الادنى — يجمع ثماني مقالات لمؤلفين مختلفين يسبقها « عرض المسألة » دون اسم مؤلف بعنوان « ملاحظات وتأويلات » . اننا نجد فيه معًا مشهدًا صريحًا لبلاد الشرق الادنى وحكمًا في السياسة التي اتبعتها نحوها دول الغرب ( ومنها الولايات المتحدة ) وايعاز الى ما تكون سياسة بريطانيا العظمى في المستقبل .

تذكير للتاريخ يفتتح الكراسة :الشرق الادنى كان دائمًا « مركز زوبعة » فيه ارتاضت اعمال انكلترا السلمية بالاغراء او بالقوة منذ اكثر من قرن . هذه ازمنة قد مضت . ومهمة اليوم هي فقط السهر على ترك الدول الجديدة بين بعضها بعض بموجب ارشادات جمعية الدول المتحدة وعلى وقايتها من نفوذ السوفيات .

التفتيش الاهم في الحاضر مختص بمصر وبتركيا وهو يحاول تحديد مكانتهما في ميدان السياسة الدولي. انه يصف بالجنون عمل السير انطوني ايدن (ص١٠٥) وايلي كيدوري يرذل سياسة الجامعة العربية وميراث لورنس ( Panarabism and British policy) من الجهة الفنية الدفاعية نظرًا الى « الحرب الباردة » والى الحرب معاهدةُ بغداد تجمع تركيا وايران وهما ( مع اسرائيل ) سند مكين .

من اراد اشراك البلاد العربية فيها بتقديم السلاح اراد البناء على الرمل . المشكلة الاقتصادية هي مشكلة الزيت ولا يمكن حلها بتسليم الاستثمار الى هيئة دولية لكن يجب البت فيهـا باتفاقات بين دولة ودولة . اما وضع اسرائيل ( ومستقبلها يقلق كلًا من المؤلفين ) فقد وصفه السيد اوروان صموئيل ( Israïl and and the Arab States ) وصف يائس . ب. م.

Sœur. Marie-Aline de Sion — *La forteresse Antonia à Jérusalem et la question du prétoire.* (Thèse principale pour le doctorat ès-lettres). Gr. 8°, XIII, 304 pp., 76 pl. Jérusalem, Typogr. des PP. Franciscains, en vente au Couvent de l'Ecce Homo, mai 1955.

موضع دار الولاية الذي فيه حضر المسيح امـام بيلاطس هو الى اليوم موضوع جدال عند العلماء . ان مجلة الكتاب المقدس « La Revue Biblique » لسنة ١٩٥٢ قد شاهدت معلمين من المدرسة الكتابية والآثارية يتجادلان بكل لطافة في هذا الخصوص . فالاب فنسان المحترم وهو قديم في التفتيش عن ارض اورشليم يضع دار الولاية المتحدة في البلاط — الحصن الذي كان هيرودس قد شيده في الزاوية الشمالية — القريبة من ساحة الهيكل في الانطونيا . اما الاب بنوا المحترم — معتمدًا خاصة على النصوص — فيضعه بالاحرى في بلاط هيرودس الآخر الكائن في المدينة العليا .

هل نرى يوماً حفريات في موقع هذا البلاط الاخير تعطينا معلومات آثارية نقدر ان نستفيد منها لبحث المسألة . الآن ليس لدينا منها شيء . وبالعكس هوذا الانطونيا تخرج من دمارهـا — هوذا اسمها الذي يكشف عن تأسيسها في الصخر وطريقة سحب مياه البلاط وتبليط الدار المركزية مع « طاولات الالعاب » وتنسيق واجهتها الهندسي وأخيرًا رسوم وتمثيل متفقة مع « رسم الانطونيا الصحيح بحسب الاب فنسان » .

هذه هي نتيجة الحفريات التي باشرت بها سنة ١٩٣١ الام مـاري غودلين راهبة من رهبانية صهيون ولا تزال تتبعها والتفتيشات التي تقوم بها الاخت ماري ألين من رهبانية صهيون صاحبة الاطروحة التي نفضلها . عندمـا سنة ١٨٥٥ ابتاع الاب ماري — الفونس راتيسبون حنية « هوذا الرجل » مع كوم الانقاض

المجاورة لها من جهة الشمال لم يتصور اهمية موقع حيث يقف اليوم زوار الاراضي المقدسة متأملين في ناؤوس « الليتستروتوس » . . .

الاخت ماري ألين تكلمت عن الانطونيا في الجزء الاكبر من كتابها وهو يتميز بجدته ووضوحه واتقانه . رغماً عن الردم التام الذي اصاب الحصن بعد حصار السنة السبعين. الحرب التي كشفت عنها الحفريات تمكننا من مقابلات مفيدة مع ابنية لهيرودس اخرى ختي ومع هندسة قديمة في سورية . فحص « الطاولات الالعابية » « Lusoriae tabulae » في الليتستروتوس مع « لعب الملك » و « le Jeu du Roi » سوف يلفت ايضاً انتباه علماء الآثار . الرسوم التصويرية المعدة لها هي مفيدة وجيدة .

في الجزء الثالث « الانطونيا ومسألة دار الولاية » المعلومات التاريخية وقصص الآلام ووصف مواقعها هي مقابلة مع الرسوم الآثارية ومع التقاليد . شهادتها تطابق بسهولة قصص الاناجيل . اننا لا نجد فيها اليقين لكنها تقدم لنا اثباتات ملتسة بخصوص موقع دار الولاية الذي يتكلم عنها الانجيل في الانطونيا .

*Histoire du Commerce de Marseille* — Index des tomes I,II,III,IV, V. — De 1660 à 1789, *Le Levant* par R. Paris. In-8°, 237 pp. Paris, Plon 1956 ; VI-628 pp. : 4 pl. ; 22 cartes et graphiques ; ibid. 1957.

ان السيد روبير باريس يقدم لنا تأليفاً جميلاً بالحقيقة . كيف يكون تصنيف اتجاهاته المختلفة وكثرة معلوماته : برأينا ان المؤلف قد قام بهذا التصنيف احسن قيام .

يبدأ بالكلام عن متجرة المدينة . يلزمها الحصول على امتياز البيع والشراء مع الاساكل وبلاد البربر : وهذا تمنحها اياه براءة ١٦٦٩ . يلزمها ايضاً تجهيز شركة ملاحة واقامة علاقات حسنة مع الاتراك وكانت في ذلك رهينة سياسة بلادها . ثم تجديد الامتيازات ومداخلات السفراء : فيلنوف وتوانتيل . . . هذا هو موضوع الجزء الاول : « تجارة الاساكل في مرسيليا » .

في الجزء الثاني تقدم لنا الملاحة : « النقلات » ووصف المراكب ولفيف المسافرين في البحر والشحنات والاخطار من العواصف والقراصنة .

في الجزئين التابعين ها نحن في نهاية السفر في الاساكل: اولًا تعريف هذه الصحبة الخفية اي تجار مرسيليا ثم الشعب الفرنسي ثم في الاساكل: حياة الشعب والحياة الاجتماعية والحياة الدينية وحياه الاشغال. ثم درس بلاد شتى الاساكل: مصر وسوريا وازمير والقسطنطينية.

اخيرًا جزء خامس يتكلم عن « حركة المقايضات »: اصناف بضائع المقايضات: نقل الواردات والصادرات: غزّ المقايضات ثم تقاويم.

حياة شعب خصوصي تنتعش في هذه الصفحات وتفاصيل الحرفة ولغتها الخاصة تعطيها عذوبة ولذة. حسب رجاء السيد غستون رامبر في المقدمة سوف يستفيد من هذه المعلومات لا العلماء فقط بل: كل انسان متأدب ايضًا لن يتصفح التأليف الا بتأن ولذة.

مع هذا المجلد الخامس ظهر آخر فيه فهارس الاربعة مجلدات الاولى: وهو اداة ثمينة سوف يقدرها الجميع: اهل مرسيليا واكس واقليمها للاستعلام عن العائلة والاصل والتجار ثم المؤرخون والبحارة لاتمام ما يتطلبه من تفتيش الاختصاص والفن.

ه. ش

P. Béarn — *A la conquête de la mer*. — 1 vol. 20/13 c. — 125 pp. — Coll. « La joie de connaitre » — Paris, éd. Bourrelier, 1956.

موضوع واسع كتاريخ الملاحة لا يوجز في كتاب لا تزيد صفحاته الا قليلًا على المئة. لقد التزم المؤلف ولا بد جهودًا يُشكر عليها لكي يتوصل الى اتمام هذا العمل العسير وقد اصاب الهدف الذي فرضه عليه نشر كتابه في مجموعة واسعة الابراز اسمها « فرح المعرفة » وانه قد اتحفنا بكتاب لذيذ المطالعة حيث جمهور من القراء والشباب خصوصًا يجدون مدوّنة بنوع جلي فتأن صفحة هي ولا بد من اعجب صفحات دهاء الانسان وجراءته مدة اجيال طويلة.

لا يجدر بعلماء الآثار القديمة وسائر اختصاصيي التاريخ القديم التشكي من المؤلف وهو ملاح لانه نظر الى مشاكل « التريار » الغربية وسائر المراكب الحربية القديمة ومشكلة دورات الفينيقيين البحرية نظرة ملاح قد يكون استعجل بحلها حلًا نهائيًا. في هذا ايضًا لا بد ان ضرورة الاختصار المفرط قد ضايقته.

نأسف جداً لنقصان لا تصعب ازالته في طبعة اخرى نجده ايضاً في غيره من مؤلفات المجموعة . ليتها تقدم لقرائها الاكثر انتفاعاً وانتباهاً في قائمة قصيرة بياناً بنخبة كتب اكثر توسعاً في الموضوع فهي بذلك تجمل منفعة موجزاتها اعظم .

بولس موترد اليسوعي

. Monseigneur Joseph Nasrallah — *Marie dans la Sainte et divine liturgie byzantine*. Nouvelles éditions latines. — Paris, 1955 — 107 pp.

ينقسم الكتاب الى جزئين : يحتوي الاول بحثاً في منزلة مريم في فن الايقونات في المعابد . الجزء الثاني يبحث عن منزلتها في الطقس الالهي . قيمة هذا الكتيب هي خصوصاً بغزارة اسانيده ودقة شروحه وجمال نخبة تصاويره والصلوات البيزنطية التي يحتويه . . . في هذه الصلوات تتراءى العقائد ويتحد الايمان والقلب المسيحي وروح التقاليد وهذا يجعلها طرفة من نوعها . اكثر هذه الصلوات مختصة بالكنيستين اليونانية الكاثوليكية والمنشقة معاً . ليت العذراء التي تصغي بعطف الى هذه الصلوات تعيد قريباً الى الوحدة الاخوية التامة القلوب التي فرقتها ظروف تاريخية شتى ثم اثبت الدهر والغايات هذا افتراق الاخوة الاليم . نور المسيح ونعمته وشفاعة امه هي لرجائنا الاس الوطيد. مؤلف الكتاب معروف من قبل بنشراته عن الكنيسة الشرقية وقد اظهر هذا الكتاب ايضاً مقدرته في هذا الموضوع. ا . م . خ .

## من لا شيء

بقلم خليل رامز سركيس

منشورات الندوة اللبنانية . بيروت ، ١٩٥٧ ، ١٦١ صفحة قطع وسط

اذا اخذ الانسان بالتفكر تفكراً حراً بعيداً عن سابق حكم لا بد ان يضع اسس الحياة الانسانية على صخرة المبادئ الراسخة مبادئ الايمان . من هذه المبادئ تصدر الشجاعة والصلاح الذي لا يهاب وادراك حقيقة الامور .

في مقالة الكتاب الاولى يتكلم المؤلف عن الايمان ولا يتردد في التأكيد بانه دون الايمان لا قيمة لشيء . وان الانسان دون الله ليس له قط من يستند اليه .

في مقالات الكتاب الاخرى عندما يكلمنا المؤلف عن الرجل الفلاني او

الفلاني من رجال الادب وبنوع اخص عن ابيه مُطنباً في الصفات الانسانية التي اتصفوا بهـا نلاحظ جلياً ارتباطاً متيناً بين هذه الفصول والفصل الاول الذي يعطي الكتاب كله اتجاهه. في الفصل الاول المبدأ الذي عليه يرتكز الكتاب.

في هذا قيمة الكتاب الجوهرية، في هذه الافكار العالية يعبر عنها انشاء واضح صحيح يزيد في لذة قراءتها وسهولة قبولها . وللكتاب اتقـان الطبع والهيئة الجذابة مما يدعو الى مطالعته والتمعن في افكاره . ا. ع. خ.

## ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية

### بقلم الاستاذ جورج صيدح

معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٦ – مطبعة الرسالة – مصر – ٣١٨ صفحة قطع كبير

الادب عند المهاجرين مأثرة جميلة. قدم المهاجرون الى بلاد غربتهم وانصبّوا على العمل الحياة وكسب الثروة دون ان يهملوا لغتهم الاصلية بل انهم قد بالغوا في الاهتمام بها .

عندنا هنـا بحث جميل وهو يمتاز خصوصاً بذكر عدد من ادباء المهجر لا يعرفهم الا قليلون وهو غزير ملذّ في ما يعطيه هنا وهناك من مواضيع يدرسها واحساسات يحللها وتنوّع الاوزان الشعرية التي يعرضها . والمؤلف يتوقف احياناً لمقابلة الادب عند المهاجرين مع الادب عند المقيمين مفتشاً عن الافضل بينهما . كثيرون هم الذين انتقدوا المهاجرين وعابوهم لغلطات صدرت منهم او الجهـل لكن المؤلف يدافع عنهم وبصواب ويثبت بان هذه المجادلات هي دون فائدة لان المهاجرين كالمقيمين قد خدموا اللغة العربية لغة الثقافة .

في الجزء الاول من الكتاب يتكلم المؤلف عن ميزات ادب المهاجرين ويصفه قائلاً بانه يندفق من اعماق نفس متألمة واثقة. مع مجاهدتهم في العمل للحياة والتوصل من العسر الى اليسر انهم لم يكتفوا بالمحافظة على الحنين الى وطنهم بل تمكنوا ايضاً من التعبير عن مواقف جديدة وافكار شتى لم تكن من قبل مواقفهم وافكارهم.

يتميز ادب المهاجرين بطابعه العاطفي وطابعه الروحاني والتأملي والاخلاقي كما بالطابع الواقعي والقومي واخيراً بالطابع الانساني . ثم ان مـا اخذه الادباء المهاجرون من الادب العربي قد اغنى لغتهم العربية واثّر في تآليفهم

فتميزت بصفات خصوصية وانا رأينا منهم من كتبوا سواء باللغتين العربية والانكليزية فأغنوا هكذا الادب الانكليزي نثرًا وشعرًا وتدريخًا .

في الجزء الثاني من الكتاب يتكلم المؤلف عن عدة من هؤلاء. ويعطي لبحثه عن كل منهم مجالا اكبر او اصغر حسب اهمية الدور الذي قام به في تآليفه او في اندية العالم الجديد الادبية وقد اعطانا من كتاباتهم مقاطع كثيرة تشهد بصحة آرائه فيهم واننا نرى هذه الآراء صوابية اذ نقرأ ما يعرض علينا من كتاباتهم . لكن المؤلف في حكمه فيهم يسكت عن كفرانهم بالله والديانة بل يمتدحه . كان يجب على الاقل ان يمتنع من الحكم في هذا الصدد فيمكننا نحن ايضاً ان نسكت عنه فان جميع المؤلفين الذي يتكلم عنهم الا العدد القليل،من امين الريحاني الى حسني عبد الملك وجبران ونعيمه قد عاشوا في ذلك العصر في التمرّد السرّي او العلني على الكنيسة وسلطانها ورسومها. . .

لمطالعة هذا الكتاب فوائد جمة للمعلومات الوافرة التي يحتويها، ويطيب لنا ان نرى المؤلف يمتدح باعجاب ادب المهاجرين دون انكار ما فيه من نقص . لكن حكمه هو صوابي . ا. ع. خ

## صوت الغائب

بقلم خليل رامز سركيس

منشورات الندوة اللبنانية – بيروت – ١٩٥٦ – ٤٠ صفحة قطع كبير

يلزم لمن يتحدث عن ميشال شيحا روح شبيهة بروحه . انه ما كان يبحث في موضوع الا مسترشدًا شعوره الديني وما كان يدرس مشكلة الا بنور الابدية . عاش ميشال شيحا شريفاً مستقيماً . كان عزوما وكان ايمانه وتمسكه باليقين يثبّته في مواقفه لا تزعزعه النظريات المادية وظروف الحياة المتغيرة. كان ينظر الى ما يدوم ويعمل له دون اعباء بما هو زائل. وقد مثّل دوره بثبات ونجاح. وقد تكلمنا عن هذا باسهاب في العدد الذي خصّه به مجلة الحكمة (١٩٥٦).

ان السيد خليل رامز سركيس بلغة جميلة دقيقة جامعة عرض علينا خواطر شيحا وآراءه مجلاء وامانة . اننا نشكر له عمله ونثني على جهوده. وانه قد اثبت لنا بما كتب جدارة اللغة العربية على تعبير دقائق المعاني كاللغات الاوروبية.

في مقدمة هذا الكتيب ذكر السيد ميشال اسمر كل ما لبنان هو مديون به لفقيدنا ميشال شيحا الذي خطفه منا الموت قبل الاوان . ا.ع.خ

## نبذة تاريخية في المقاطعة الكسروانية

بقلم الخوري منصور الحتوني

نشرها يوسف ابراهيم يزبك – بيروت ١٩٥٦ – ٣٠٩ صفحات

لبنان في كل العصور لم يُحرم من المؤرخين الذين كتبوا عنه . اراد السيد يزبك باعادة طبع تاريخ كسروان كما يفعل ذلك ايضاً في «اوراق لبنانية» ان يتحفنا بنص له اهميته. وقد قام بجدارة في نشره لكننا نأسف لتنقيحه النص الاصلي وحذف جزء منه خوفاً من حدوث مجادلات بين ابناء وطن واحد. أفنمدحه لعمله هذا؟ كنا نفضّل ان يُعاد لنا النص بحرفيته. فدور الناشر ان ينوّه بلاحظاته دون ان يمس لغة المخطوط. فهواة اللغة يريدون ان يدرسوها في جيلها وكتب ذلك الجيل. وعلى المؤرخ ان لا يقلّل من روعة الحوادث ورهبتها . هذا واننا لا نشك قط في حسن نية السيد يزبك وقد خدم لبنان بجرأة كبيرة في « اوراق لبنانية » . ا. ع. خ

## إحياء الجبر – درس لكتاب الخوارزمي في « الجبر والمقابلة »

بقلم عادل انبوبا

منشورات الجامعة اللبنانية قسم الدراسات الرياضية ١ – بيروت المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٥٥ – ٢٨ صفحة حجم كبير

يطيب لنا الثناء على الجامعة اللبنانية لما تبديه من نشاط في تنظيم اعمالها ونشراتها وقد احسنت بتفويض درس هذا الكتاب وتحليله الى الاستاذ عادل انبوبا فتداجاد.

بعد ان عرض الاستاذ موضوع البحث والتحليل والطريقة المتبعة ادخل القارئ شيئاً فشيئاً وبسهولة الى كنه الموضوع وفي كلامه عن اهمية كتاب الخوارزمي بيّن جليًا مبلغ تقدم العلوم وانتشارها عند العرب وهذا امر قلّما يتكلم عنه التاريخ.

تعرض على الاستاذ امنيّة تحدثنا احياناً عنها وهي ان يهمّ بتأليف كتاب فيه يجمع الاصطلاحات العلمية والحسابية فان الحاجة اليه لا تُنكر . فانه ان فعل يكون قد خدم اللغة العربية خدمة جُلّى وبذلك يكون قد خدم البلاد ايضاً . ا. ع. خ